AL TAREEK AL THAKAFI
الطريق الثقافي
NO. 74
12 صفحة
500 دينار
24 آب/ أغسطس 2013 24 August

12 تشكيل
زياد حيدر
حساسية اللون

نمط 2
الإعلان العالمي
لحقوق الإنسان والمواطن
الطريق الثقافي

تجارب 3
القرن الثامن عشر
قرن العقل والثورة
جاسم المطير

دراسة 4
عينكاوه.. النص وثقافة
ما بعد الحداثة
ياسين النصير

قصة 5
كتاب الجنون
شاكر مجيد سيفو
تلك اليد الغريبة
عدنان المبارك

تأمل 6
ثورة في العقل
أم ثورة في النقل
أسعد الأمارة

نقد 7
«قشور الباذنجان»
الضحية و الجلاد
فاضل ثامر

ترجمة 9
ميشيل سنونيت
روح الطائر
أسامة عبد الكريم

حوار 10
محمود شمال حسن
التمركز حول
المرجعيات ليس وليد
اللحظة الراهنة
سعدون هليّل

8 ذكرى
شمران الياسري «أبو كاطع»
مناضل سبق زمنه بوعيه الثاقب

Mohamad Hayawi

ثقافة الطريق

ربما، عن فن كتابة الخرافة

تحدثت مرة عن فن كتابة الخرافة وانا طبعا لا ادعو لكتابة الخرافة مثل اسلافنا، لكني اردت تبيان حاجتنا اليها بعد تعطل المنطق وبعد ان اكتست الخطايا بلبوس الفضائل والمثل، وبعد ان صار الشعب، الذي امتصوا دمه واطعموه زقوما وخوفا، مجرما وهم لا سواهم علموه القتل وعلموه الجريمة وعلموه اساليب التعذيب وعلموه الاختطاف وعلموه السرقة بانواعها فهم الاساتذة المتخفون الكبار.

وهنا ماذا يفعل الادب وماذا تستطيع ان تفعل الفنون؟ ثم اليس طريفا ان نتحدث في مثل هذه الاجواء عن الحداثه والتكنيك؟ وان يسألك بطر عن الاصدارات الجديدة في العالم او عن الاتجاهات الجديدة في الرواية والمسرح والفن؟ هو يسخر منك حين يسالك عن مسارح جديدة ولا يسالك عن مخابز حديثة كبيرة توزع اكياس الخبز على المخازن فلا تحمل كيسا من الطحين مثل أي شحاذ الى بيتك؟ على اية حال يبدو ان كوميديا الطحين مسلية لوزارة التجارة وسيستمر عرضها..

ستقول انت رجل اديب وتحدثت بشكل معقول عن فن كتاب الخرافة فلماذا الاسفاف الى الشؤون اليومية العابرة؟ اقول لكم والله اشعر ببعض ما يجب على الاديب والكاتب قوله او كتابته في اجواء كالتي نحن فيها. ولاني اصلا وفصلا كادح وسليل ازقة وصرائف، فلا يسعني ان ابتعد عن بؤس قومي واللعنه على الشعر والادب ان لم احمل همَّ هؤلاء الناس الذين تعاون على سرقة خبزهم واعمارهم اللصوص من كل الانواع والاصناف ساسةً وتجارا وادعياء مبادئ ومحتلين وكهنة كذبةً وشعراء وكتاب دجالين..

الكتابة عن الخرافة والحاجة لكتابة الخرافة مدخل لتفجير الاسى وكشف الدجل، مثلما لكشف الجريمة والتزوير.. ولكي لا اكون معاديا غير مرغوب فيه، ولكي لا اكون ضد الدولة او ضد السماسرة من المثقفين الى سراق ادوية المشافي ومنتهبي عقارات الدولة وسراق الاطفال والسيارات والمساعدات التي يتصدق بها العالم على شعب البترول والزئبق.. بعد هذا، ساقص عليكم، كما وعدتكم، خرافه جديدة كتبها الصيني هاي دويكوان Hai Doiquan اسمها "الخفاش والبعوض" لا لكي اهيج الخفافيش او الوطاويط ولكن لاريكم ما وصل اليه المبتزون والمتاجرون وادعياء البراعات والفهم .. اليكم الخرافة كما اوردها كاتبها ولست مسؤولا عما فيها:

اشاعت بعوضة عن خفاش انه مخلوق ظلامي يتخفى في الليل ويخشى ضوء النهار. الاتصدقونني؟ القوا نظرة فقط، هو في النهار يكاد يكون اعمى.."

الخفاش، وكما يسمونه تبجيلا الوطواط سمع ما يروى عنه من قصص لكنه لم يبال وظل يواصل اساليبه القديمة وطيرانه الليلي للصيد والاقتناص. بعض الحيوانات ممن يتوددون له قالوا له: لماذا لا تضع حدا لهذه الاشاعات عنك بان تترك التصيّد في الليل؟"

فقال الخفاش: اذا كنت بسبب هذه الاشاعات لا امارس عملي الليلي في اكل البعوض والمذاقات "الليلية الاخرى، فمعنى هذا ان حيلة المروّجين نجحت واني لا اكسب بعد غنيمة، والغنائم يا سادتي، عادة في الليل.."

الى هنا تنتهي الخرافة الصينية، بقي علينا امر تاويلها ففي الجو الايجابي نقول: ان ما يقول به المغرضون لا يعيق الابطال المناضلين وفي الاجواء البائسة التي نعيشها نقول: او ان عمل الصيادين الحقيقيين عادة ما يكون حين يخيم على الناس الظلام..

وقد يكون للخرافة تاويل اخر لا نعرفه، فنحن ايضا نصطاد من المعاني على قدر ما نستطيع..

ياسين طه حافظ

في كتب.. أوغستو مونتيروسو.. رائد القصة القصيرة جداً في أميركا اللاتينية 11

"كارل ماركس: حياة القرن التاسع عشر" لجوناثان سبيربر

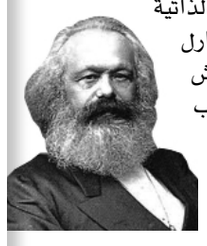

الطريق الثقافي- خاص

صدر في لندن الأسبوع الماضي كتاب جديد عن مؤلف "رأس المال" بما يشبه السيرة الذاتية الجديدة للمفكر والفيلسوف الألماني الشهير، للباحث وكاتب السيرة الذاتية الأنجليزي جوناثان سبيربر تحت عنوان "كارل ماركس: حياة القرن التاسع عشر". ويناقش الكتاب الجديد فكرة ما اذا كان الرجل صاحب المؤلف الأشهر على الصعيد الإقتصادي، لديه أي شيء لتعليم صانعي القرار المعاصرين واصحاب السياسات الغارقة في أزمات الرأسمالية المعاصرة التي مازالت تتخبط في تفصيلات الانهيار الاقتصادي منذ العام 2008 حتى الآن، ابتداءً من المستثمرين مروراً بمستشاري البنوك وانتهاءً بالحكومات في جميع أنحاء العالم الغربي. ويعتقد سبيربر أن كتاب "رأس المال" يكاد يكون الكتاب الوحيد الذي ظل محتفظاً بمكانته على رفوف محلات بيع الكتب، التي نجت من الركود الاقتصادي، منذ القرن التاسع عشر حتى الآن، كما ظلت النظريات الإقتصادية الواردة فيه قابلة التطبيق والمناقشة على مر الأزمان، ويبدو، حسب سبيربر دائماً، أن كارل ماركس لم يتوقع الأزمة المالية الحالية والركود الذي يصاحبها فقط، بل وفر السبيل الوحيد للخروج منها. وتستند طروحات جوناثان سبيربر إلى أن أغلب المحللين والدارسين الذين تصدوا لرأس المال، حرصوا على مناقشة طروحات ماركس خارج سياق القرن التاسع عشر، الأمر الذي حال دون قدرتهم على استنباط نظرياتها المستقبلية وتوقعاتها الخلاقة.

ابنة فرج فودة تعيد طباعة أعمال والدها وتوزعها

الطريق الثقافي- وكالات

قامت سمر فودة، بإعادة طباعة وتوزيع أعمال والدها شهيد الكلمة المفكر الكبير فرج فودة، فى خطوة من جانبها وصفتها بالمهمة فى مواجهة موجة التطرف والتكفير التى صاحبت صعود التيار الإسلامى للسلطة قبل نجاح الملايين من الشعب المصرى فى إسقاطه، وتضم المجموعة أعمال المفكر فرج فودة وهى، الحقيقة الغائبة، النذير، حوار حول العلمانية، الملعوب، الإرهاب، نكون أو لا نكون، وقبل السقوط. وقالت سمر فودة إن خطتها تهدف للتنوير وتوصيل العلم لمن لا يعرفون حقيقة وأهداف التيارات المتأسلمة، ومن يخلطون الدين بالسياسة. وأضافت، إذا كان الإخوان يتاجرون بحاجات البسطاء ليصلوا للسلطة عن طريق الزيت والسكر فنحن سنصل للمصريين فى القرى والنجوع عن طريق العلم والتنوير.

"إنشيون" الكورية عاصمة عالمية للكتاب للعام 2015

الطريق الثقافي- خاص

سميت مدينة إنشيون الكورية عاصمة عالمية للكتاب للعام 2015، وتختار اليونسكو والمنظمات الدولية التي تمثل القطاعات الرئيسة في صناعة الكتاب، وهي الرابطة الدولية للناشرين IPA والاتحاد الدولي لباعة الكتب IBF والاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات IFLA، سنوياً عاصمة عالمية للكتاب، ابتداءً من 23 نيسان/ابريل من كل عام. وهو اليوم العالمي للكتاب وحقوق التأليف والنشر، حتى تحولت هذه الممارسة إلى مشروع تعاوني يجمع أصحاب المصلحة الرئيسيين في صناعة النشر وإدارات هذه المدن لتعزيز عمليات التأليف والنشر والقراءة. وتعد إنشيون المدينة الخامسة عشرة التي تتم تسميها كعاصمة عالمية للكتاب بعد كل من، مدريد 2001، الإسكندرية 2002، نيودلهي 2003، أنتويرب 2004 مونتريال 2005، تورينو 2006، بوغوتا 2007، أمستردام 2008، بيروت 2009، ليوبليانا 2010، بوينس آيرس 2011، يريفان 2012، بانكوك 2013، بورت هاركورت 2014.

الذكرى السنوية لاختفاء أنطوان سانت أكزوبري

الطريق الثقافي- خاص

تصادف هذه الأيام الذكرى السنوية لفقدان الكاتب والمخترع المثير للجدل انطوان دي سانت اكسوبري Antoine de Saint-Exupéry. مؤلف رواية "الأمير الصغير" الشهيرة والكثير من القصص والروايات الأخرى الشيقة. وفقد أكسوبري في 31 تموز/ يوليو من العام 1944 بعد أن حلّق بطائرته الصغيرة ولم يعد بعد ذلك أو يعثر له على أثر. وابصر انطوان دي سانت اكسوبري النور في العام 1900، ولم يعمر إلا 44 عاما، لكنّه كتب خلال عمره القصير اعمالا خلدت اسمه في التاريخ. وتعد روايته "الامير الصغير" عملا فذا في الادب العالمي وواحدة من اكثر الكتب مبيعا في كافة ارجاء العالم. وفضلا عن الكتابة، كان انطوان دي سانت اكسوبري، يمارس مهنا اخرى مثيرة، مثل الطيران والصحافة، وكان مغامرا للغاية، كما أن حبه للمغامرات وقدراته الفذّة على الكتابة جعلت من عالم الطيران العنصر الرئيس في رواياته. ويعود جزء كبير من شهرته، من دون ادني شك، إلى كتابه الخالد "الامير الصغير" الذي صدر للمرة الأولى في العام 1943 باللغة الفرنسية، ومن ثم باللغة الانجليزية، قبل أن يترجم إلى اكثر من 200 لغة في العالم، ليسجل بذلك رقما قياسيا لا مثيل له في هذا المجال.

نشر لأول مرة في 26 آب/ أغسطس من العام 1789

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن

مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن منشورة على منصة يعتليها ملاك يشير إلى شمس الحرية وملكة تتوشح بألوان العلم الفرنسي وترفع القيود المحطمة الصورة: ANP

الطريق الثقافي- خاص

يصادف الأسبوع المقبل ذكرى مرور 224 عاما على نشر أولى مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواطن، الذي أعلن عنه لأوّل مرّة في السادس والعشرين من آب/ أغسطس من العام 1789 في فرنسا على يدي كل من الاصلاحيين الفرنسيين المركيز دي لافاييت وايمانويل جوزيف سايز.

إيمانويل جوزيف سايز (يمين) والماركيز دي لافاييت (يسار) الصورة: ANP

نتيجة لانتشار حركات التنوير الإصلاحية الكبرى نهاية القرن السابع عشر والتأثر الذي خلفه الإعلان عن استقلال الولايات المتحدة، تصاعدت الدعوات من أجل وضع ميثاق عام ينظم علاقات البشر ويضع حدّاً للاستغلال والانتهاكات والفروقات الاجتماعية. كانت الأصوات الرائدة المتصاعدة آنذاك تطالب بوضع تعريفات محددّة لمفاهيم سيّادة الإنسان على نفسه وفق مبدأ يقول أنّ الامتيازات الاجتماعية لا يمكن أن يرثها الناس من أصولهم واعراقهم، تنشأ عن طريق الكفاءة الشخصية، وأنّ الديانات يجب أن تعمل وفق مفهوم التسامح.

وتكون النص الأوّل للإعلان من مقدمة وسبعة عشر بند جرت مناقشتها باستفاضة واجريت عليها الكثير من التعديلات في الصياغات قبل أن تقرها الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان)، لتشكل فيما بعد ديباجة دستور العام 1791.

إعلان حقوق الإنسان والمواطن

يعد ممثلو الشعب الفرنسي، متمثلين بالمجلس الوطني، الجهل بحقوق المواطنة وازدراء حقوق الإنسان هي الأسباب الرئيسة لتعاسة العامّة وفساد الحكومات، لذلك قرروا إعلان وثيقة رسمية لتنظيم العلاقات الاجتماعية وتكون معتمدة بشكل دائم، تتضمن حقوق والتزامات الأفراد بشكل غير قابل للتصرف لتكون وثيقة مقدّسة ومحترمة من الجميع بصرف النظر عن الخلفيات والانتماءات.

إن أعمال السلطات التشريعية والتنفيذية هي في النهاية أحكام سياسية مقارنة يمكن أن تخضع بشكل أفضل للرقابة، على أساس محددة وبسيطة وواضحة وغير قابلة للجدل، وهي مبادئ نتوقع من المواطنين في المستقبل التركيز عليها بشكل متزايد للحفاظ على روح الدستور والصالح العام.

أي مجتمع لا يتم التأكيد على حقوقه مجتمع غير دستوري

وبالتالي فإن الجمعية الوطنية تقر وتعلن الحقوق التالية للانسان والمواطن:

المادّة أولاً: يولد الناس أحراراً ومتساوون في جميع الحقوق ولا مكان للتمييز الإجتماعي إلا ما يقره الصالح العام.

المادّة ثانياً: الهدف لكل جمعية سياسية هو الحفاظ على مبادئ حقوق الإنسان غير القابلة للتصرف، وهذه الحقوق هي الحرية والملكية والأمن ومقاومة الظلم والاستبداد.

المادّة ثالثاً: أصل كل سيادة يكمن أساسا في الأمة، لا الفرد، ويمكن لأي فرد المساهمة في ممارسة السلطة.

المادّة رابعاً: تنطلق الحرية الشخصية من احترام حرية الآخر، وللأفراد ممارسة حرياتهم ضمن هذه الحدود وأن لا يعرضوا حريات الآخرين للخطر، ومن حق الجميع التمتع بالحقوق نفسها، ويحمي القانون هذه الحدود.

المادّة خامساً: القانون يحضر الممارسات الضارّة بالمجتمع، وكل ما لا يحضره القانون لا يمكن منعه او يجبر الأفراد على القيام به.

المادّة سادساً: القانون هو التعبير عن الإرادة العامّة، وجميع المواطنون لهم الحقّ، شخصياً أو عن طريق ممثليهم، العمل وفق هذا القانون، سواء كان في الحماية أو العقوبة، وجميع المواطنين متساوين في تطبيق القانون بشكل متساوي على جميع الأفراد، بما في ذلك هؤلاء الذين يشغلون المناصب العامّة من دون تمييز.

المادّة سابعاً: للقانون سلطة مطلقة ومن يخالفه يتعرض للعقوبة المنصوص عليها، وعلى جميع المواطنين أطاعة واحترام القوانين، كما أن مقاومتها تجعل الفرد مذنباً.

المادّة ثامناً: يمكن تشريع قوانين جديدة عند الضرورات القصوى، ويمكن أن يعاقب أي فرد بموجب قانون صدر قبل وقوع المخالفة وتطبق العقوبة املناسبة قانوناً.

المادّة تاسعاً: كل شخص برئ حتى تتم إدانته، وفي حال يكون الاعتقال أمراً لا بد منه، فعلى السلطات المنفذة الامتناع عن استخدام العنف، والمشتبه به يتمتع بحماية القانون.

المادّة عاشراً: لا ينبغي لأحد أن يسجن بسبب آرائه، بما في ذلك الدينية منها، أو يتعرض لمضايقات، ما لم ينتهك النظام العام وينتهج سبل التعبير التي ينص عليها القانون.

المادّة الحادية عشرة: التبادل الحر للأفكار والآراء هي واحدة من أثمن حقوق الإنسان، وبالتالي يمكن لأي مواطن التحدث والكتابة والنشر بحرية مطلقة، باستثناء الحالات التي يحددها القانون، والتي تنظم إساءة استخدام هذه الحرية.

> تأثر الإعلان بفكر التنوير ونظريات العقد الاجتماعي والحقوق الطبيعية التي قال بها مفكرون أمثال جان جاك روسو، جون لوك، فولتير، مونتيسكيو، وهو يشكل الخطوة الأولى لصياغة الدستور. ويعد الإعلان وثيقة حقوق من وثائق الثورة الفرنسية الأساسية، وعلى الرغم من أنّه حدّد حقوق البشر دون استثناء (وليس حقوق المواطنين الفرنسيين فقط) إلا أنّه لم يحدد مكانة النساء أو العبودية بشكل واضح.

المادّة الثانية عشرة: ضمان حقوق الإنسان والمواطن يحتاج الى قوة الشرطة، ويتم تعيين هذه السلطة لصالح الجميع وليس لمصلحة خاصّة أو لمصلحة اولئك الذين أوكلت إليهم هذه السلطة.

المادّة الثالثة عشرة: الإنفاق على الشرطة يتم عن طريق إدارة الضرائب العامّة التي تقسم بالتساوي بين المواطنين وبما يتناسب مع إمكانياتهم.

المادّة الرابعة عشرة: للمواطنين الحق في الاطلاع على آلية فرض الضرائب العامّة، و مراقبة استخدامها وتحديد مجملها، والأسس التي حددت وفقها، سواء بشكل مباشر أو بواسطة ممثليهم.

المادّة الخامسة عشرة: للمجتمع الحقّ في أن يسأل أي موظف عمومي بشأن إدارته مهما كانت منزلة هذا الموظف.

المادّة السادسة عشرة: أي مجتمع لا يتم تأكيد حقوقه، ولا يفصل بين السلطات المحددة، مجتمع غير دستوري.

المادّة السابعة عشرة: الملكية الفردية حق مقدس لا تنتهك حرمته، ولا يمكن حرمان أحد منه، إلا إذا تطلبت ذلك الضرورة العامّة المحددة قانونا، وهذا يتطلب تعويض مقابل عادل يتم بالتراضي.

- إن لمبادئ هذا الإعلان مكانة دستورية في القانون الفرنسي الحالي.
- صاغ الإعلان الماركيز دي لافايت وتبنته الجمعية الوطنية، وقد وُضِع كي يشكل أساسا للانتقال من حكم ملكي مطلق إلى حكم ملكي دستوري. هدفت العديد من مواد الإعلان إلى إلغاء بعض مؤسسات النظام القديم لفرنسا ما قبل الثورة. عمليّا، تحوّلت فرنسا إلى جمهورية وأصبح الإعلان من وثائقها الأساسية.
- تعتمد مبادئ الإعلان على فصل السلطات بحسب مونتسكيو. وربما استفاد الفرنسيون من إعلان الاستقلال الأمريكي 3 أيار / مايو 1776 وإعلان فرجينيا للحقوق، 12 حزيران / يونيو 1776 الذي صاغه جورج مايسون.
- في 5 تشرين أول أكتوبر 1789، بعد المسيرة إلى فرساي، قامت نساء فرنسا بتقديم "عريضة النساء للجمعية الوطنية" طالبة منح المساواة للنساء. تم الاعتراض على عدم منح الإعلان حقوقا للنساء في إعلان حقوق النساء والمواطنات عام 1791.

منظمة الأمن والتعاون الأوروبية تتضامن مع الكتاب الأتراك

الطريق الثقافي- خاص

أنتقدت منظمة الأمن والتعاون الأوروبي OSCE الاعتقالات والملاحقات التي طالت الكتاب والصحفيين الأتراك في الآونة الأخيرة، وقالت دونيا ميوتوفيتش، الأمين العام للجنة حريات وسائل الإعلام في المنظمة في مؤتمر عقد بوارشو مؤخراً، ان الأحكام القاسية الصادرة بحق العشرات من الصحفيين والكتاب تنتهك التزامات تركيا في حرية التعبير ووسائل الإعلام المستقلة، وأضافت، "أنا قلقة جدا من تلك الإدانات والأحكام التي لم يسبق لها مثيل في منطقة المنظمة بأكملها، ذلك لأن الملاحقة الجنائية لهؤلاء بسبب الآراء المخالفة ينتهك حق الإنسان الأساسي في حرية التعبير والتزامات منظمة الأمن والتعاون الساعية لتطوير وحماية وسائل الإعلام الحرة ". وتراوحت الأحكام، التي طالت العشرات من العاملين في مجال الثقافة والإعلام، بين الحبس ست سنوات إلى الحبس الانفرادي مدى الحياة، وطالبت المنظمة السلطات التركية بإجراء إصلاحات تشريعية عاجلة لتحسين حرية وسائل الإعلام، فضلا عن محاكمة شفافة وسريعة لجميع الكتاب والصحفيين المعتقلين.

مائة عام على عودة الموناليزا المسروقة إلى متحف اللوفر

الطريق الثقافي- خاص

في مثل هذا اليوم من العام 1911 سرقت لوحة الموناليزا من متحف اللوفر في باريس. بعد أن اكتشف السرقة في وقت لاحق الرسام لويس بيرود عندما ذهب إلى المتحف لتأمل اللوحة فوجد مساحة فارغة على الحائط، فنبه موظفي المتحف. وهيمن اليأس على محبي اللوحة التي تعد واحدة من اللوحات الأكثر شهرة في العالم، وكان الاعتقاد السائد بأنها لن تظهر إلى العلن أبداً. لكن لحسن الحظ، تم العثور على اللوحة بعد مرور عامين، واتضح أن اللص هو فينتشنزو بيروجيا، وهو إيطالي متعصب كان يعمل في متحف اللوفر. واكتشفت السرقة عندما حاول بيروجيا بيع اللوحة لمتحف أوفيزي الشهير في فلورنسا في العام 1913.

ارتفاع مبيعات رواية أرويل "1984" بعد فضيحة التجسس

الطريق الثقافي- خاص

أعيدت عبارة الكاتب الكبير جورج أرويل الشهيرة "الأخ الأكبر يراقبك" إلى الأذهان مجدداً بعد فضيحة التجسس الأميركي على الدول الأوروبية التي كشفها الخبير الأميركي المنشق إدوارد سينودن، وحسب وكالة الأنباء الألمانية فأن القراء بشكل عام في أوروبا عادوا بدافع الفضول من جديد لقراءة أرويل، لا سيما كتابه الشهير 1984 الذي توقع فيه مثل هذه السلوكيات. وسجلت الرواية التي مضى على صدورها أكثر من 64 سنة، ارتفاعاً ملحوظاً في الطلب مؤخراً حسب متاجر التجزئة على الانترنت ودار أمازون للنشر، الأمر الذي أعادها مجدداً في واجهة الكتب الأكثر مبيعا.

مهرجان IDFA للأفلام الوثائقية

تنطلق الدورة 26 لمهرجان أمستردام الدولي للأفلام الوثائقية IDFA في العشرين من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل وتستمر حتّى الأوّل من كانون الأول/ديسمبر 2013. ويستقبل المهرجان حالياً طلبات المشاركة في سوق "أفلام وثائقية للبيع" المخصص لتقديم الأفلام الوثائقية للمشترين العالميين، ومحطات التلفزة، والموزعين ومبرمجي المهرجانات. صنّاع الأفلام والمنتجين الذين يبحثون عن شركاء عالميين وتمويل لمشاريع الأفلام الوثائقية التي يعملون على إنتاجها. آخر مهلة لتقديم الطلبات هي 10 تشرين الأول/أكتوبر 2013. للمزيد من المعلومات، www.idfa.nl/industry.aspx

صفحات من رسائل إبراهيم السامرائي الشخصية (2 ـ 2)

القرن الثامن عشر قرن العقل والثورة

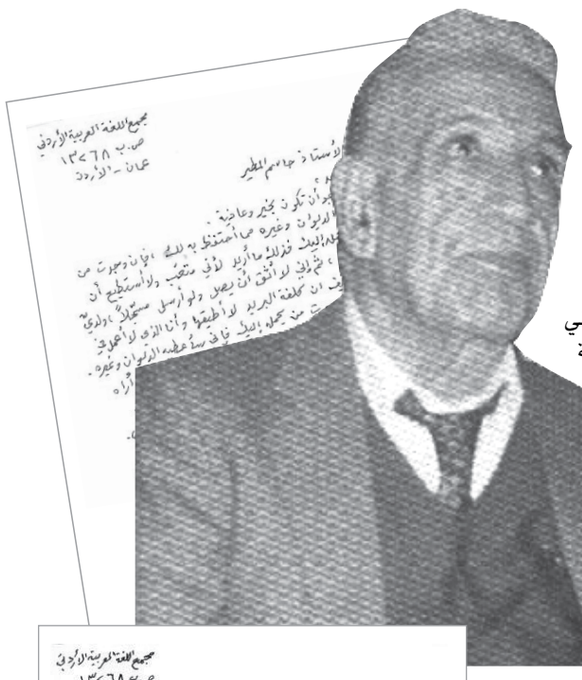

جاسم المطير

مدينة العمارة لها الفضل في إنجاب العديد من الذين بزغوا فيها مجددين الآداب والفنون والعلوم، بل كانوا، في ساحاتها، جوهراً إبداعياً خالصاً وتياراً ثقافياً نقياً. كان البعض منهم أصدقائي. اعتز بهم دائما وأبداً، بل أقول أنني نلت من صداقتهم علماً ومعرفةً ومجداً وشرفاً. اثنان من هؤلاء الأصدقاء لم يحملا لقباً أو نسباً آو انتماء عمارتليا لأنهما كانا يحملان لقب مدينة آبائهما، حملا لقب " السامرائي" نسبة إلى مدينة سامراء، رغم ولادتهما في العمارة. كان صديقي الأول هو الدكتور الطبيب فائق السامرائي الذي تعرفت عليه في سجن نقرة السلمان.

كان الدكتور السامرائي يجفل من ما يفرزه الزمن السياسي في العراق، كلما تكلمت معه بالهاتف أو كلما أتيت على ذكره في رسالة كانت خواطري تغرقه في التفكير كما يقول، إذ كان يعتبر أن هذا الزمن لا يقدم إلاّ الهراء من السياسة مثلما الهراء من الأدب. وذات مرة تساءل: كيف يتأتى لعالمنا العربي أن يستمر طويلاً على تقبله مثل هذا الهراء المنشور أكثره في الصحف..؟

وصلتني منه رسالة مؤرخة في 14/ 6/ 1999 ظهر فيها متذمرا من بعض وعود بعض العراقيين وإهمالهم جاء فيها : " أخي الأستاذ جاسم.. تحية وبعد، فقد تسلمت رسالتك، وكنت قبل ذلك قد أجبتك عن رسالة لك. وقد أشرت إلى الأخ التكمجي فأقول: أنه كسائر الناس قد شغلوا بما هم فيه، وهذا مما جره علينا العصر. فلا أرى أخي إلا في العيد مثلاً أو أني أعمد إلى الاتصال به. وكنت قد رأيت في المناسبة التي أعدها حمدي جماعة لم أرهم بعد تلك الجلسة ومنهم هذا الذي يشمخ في صحف الأردن حسب الشيخ جعفر بكلمات يبرأ منها الفن وقد أرى آخرين في صحف الأردن من طلابي ولكنهم شمخوا وليس لهم ما يشغلهم عن زيارتي ومنهم طراد الكبيسي وغيره. ولنضرب صفحا فأقول لك انك حين تأتي إلى عمان سأراك وأعطيك ديواني الذي أسميته "حنين إلى الكلم الضائع" وغير هذا. أما عن " السؤال" لإحدى الصحف اللندنية فأقول: " إن كانت "الحياة" فما أراني أصل إلى هذه "الصحيفة" التي هي في معسكر الظلم من العرب والغربيين . لقد سألني احد العاملين فيها عن طريق الهاتف وهو يسجل جوابي، والسؤال عن الجواهري بعد وفاته، وقلت أن الأمر يتصل بالأدب فلا بأس من الجواب فمضيت طوال أربعين دقيقة أملي جوابي والمسجل يثبت الجواب. وعدني أنه سينشر هذا ويرسل الصحيفة مع مكافأة، وانتهى الأمر ولم ينشر أي شيء. وقد كلفتُ أخي علي الشوك ففتش ولم يجد شيئاً. وإذا كانت الصحيفة " الشرق الأوسط " وهي أيضا من المعسكر الظالم فقد جاء معتمد هذه الصحيفة وهو عراقي أسمه "معد" في عمان وأراد مني أن أكتب شيئاً عن علي جواد الطاهر فأعطيته شيئاً يستوعب صفحة كاملة من الجريدة وقال هذا "المعد" السيئ أنه سيزودني بالجريدة مع مكافأة ولم يفعل..!! فإذا كانت صحيفتك هذه أو الأخرى فما أراني معك وسنتحدث إذا جئت إلى عمان مع الشكر . إبراهيم السامرائي .

عمان في 14/ 6/ 1999.

في إحدى ليالي خريف عام 1997 كنا جالسين في دار الصديق د. حمدي التكمجي في عمان كان السامرائي في تلك الليلة في حالة من الإرهاق الصحي الشديد لكنه أصر على الدخول مع أحدهم في حوار عاد إليه فيه بعض تشدده حين أسمعنا قوله: ما أقرأه في هذا الزمن لا ينبعث أصلاً من عقل فلسفي سليم. اذهبوا إلى القرن الثامن عشر فسوف تجدونه عصر العقل والثورة وفيه حلّت فلسفة التنوير، أما الآن ونحن في أواخر القرن العشرين فأن الإطار الغالب لكل فلسفة وأدب يتميز بالصبغة السياسية . أفكار هذه الأيام ترجع في المقام الأول إلى الجهل وانعدام الأخلاق.

"ليس ما يضايقني شظف العيش وليس ما يدهشني هناء العيش لكن هذين الحالين يؤلمان الإنسان إذا كان غريباً . ففي الغربة يفتقد المرء حقوقه الطبيعية وكأنه يرى عقده مع المجتمع الذي يعيش فيه أنقطع وتمزق ". كان السامرائي من هذا النوع من "الغرباء" رغم نشأته على العمل الجاد منذ فتوته وحتى مماته إلاّ أن الشيء الذي لم يكن بإمكان أحد أن يبعده عنه هو الشعور الدائم بأنه مستبعد من وطنه وان احتمال عودته إلى جدل جديد ناتج عن رؤيته أو معايشته لمدينة العمارة أو العاصمة بغداد أو قضاء سامراء كان في نظره أمراً مستبعداً أيضاً . هكذا ظلت أفكاره تدور في هذه الحلقة.

وعن مرارة غربته في أيامه الأخيرة يتحدث عن جار له سكن قريباً منه فقال في إحدى رسائله : "أقول وأنا آسف أن يكون جاري بيت لا أعرفه لأني أشعر أنه لا يريد أن يعرف هذا الذي حملته الآفاق فكان جاراً له. ولا أكتمك فقد حملت أنا نفسي وزرته لأنه سكن في "العمارة" بعدي، وندمت على فعلتي لأنه لم يرد الزيارة.." .

جواباً على بطاقة معايدة أرسلتها كتب لي في رسالة وصلتني الى لاهاي يوم 20 – 1 – 2000 : " لقد سبقتني ببطاقتك فأصررت على أن لنا عيداً وكنت قد نسيتُ هذا أنا المحاصر الذي ليس له إلاّ كتاب يقرؤه، وهو لاجئ في حمى مجمع اللغة العربية . قد يكون المغتربون في الدنيا الواسعة اسعد حالا منا نحن في ديار "الأشقاء" الذين تنكروا لنا وهم قد شبعوا بما يدرّه عليهم العراق من خير . أخي لقد ذكرت لي في رسالة قديمة ان لكم مجلة مع احد الاخوان آمل ان يكون لكما فيها شغل مفيد. أسأل: لقد سمعت ان في هولندا داراً أو أكثر للنشر باللغة العربية فهل عرفتم ذلك وهل لنا نحن الفقراء ان نفيد منها ..؟مع تحياتي . المخلص إبراهيم السامرائي. " وكان الراحل عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني..كتبت له جواباً في رسالة بريدية قلت فيها: " لاهاي في 20 – 1 – 2000 .. سيدي الكريم د. إبراهيم السامرائي.. تحية طيبة. أخذت رسالتكم الأخيرة بالفرح الغامر بالرغم من أن في داخلها الكثير من المعاني المؤلمة التي يعاني منها العلماء والمبدعون العراقيون في بلاد الغربة وقد ترجمت العديد من أفكار رسالتكم إلى صورة حقيقية لمعاناة الوجود العيني لآلاف العراقيين في بلاد الغربة الأوربية. في نهاية الأمر يا سيدي الكبير سيكون متيقناً أمام الجميع أن صبر وعلم السامرائي سيكونان مثالاً لمذهب ينبغي أمامه السجود. فأنت لنا ولأجيال عديدة كنتَ صيرورتنا العينية في لغتنا العربية، مع أنها كانت مصدرا لمتاعب عميقة لكم شخصياً. من العار على "الأهل" وعلى " الأشقاء" وعلى "الحكام" خصوصاً أن يتركونك وعلمك وحيداً، مجرداً، وهم يسمعون منك آهة العالم الصابر الودود. أيها الأستاذ العزيز: لا أريدَ الأكثار من الأقوال الواهبة للموضوعية فأنت، بكل الاحوال، كنتَ الأول في كل ما جعل الجيل الخمسيني معطاءً حاملا الدلالات الاخلاقية الكبيرة، التي انطلقت من بين أيديكم ومن محافل علمكم الغزير . أيها العزيز: بالنسبة إلى هولندا ليس فيها دار للنشر عربية. أنا أكتب مقالة أسبوعية في جريدة الزمان ا لعر ا قية الصادرة في لندن. أنهم حتما سيرحبون بك وبكتاباتك . كذلك توجد دار نشر نشيطة في لندن تمارس النشر على نحو مقبول وهي تتحول بصورة عامة إلى الإبداع العراقي. أما صاحبها فهو سامرائي أيضا، أسمه "حازم" وأظن أنه سيرحب بأنتاجكم من دون أي قلق. إذا ترغب في مراسلة الجريدة والدار فتجد عناونيهما طياً. سوف أقدمك إليهما ولو أن الوجه الصحيح في هذه الحالة هو الترحيب بمقدم أسمكم على صفحات أعمالهما فأنت لا تحتاج لتعريف ولا لتقديم. أنت أكبر منا جميعاً. أرجوكم إخباري بما تحتاجون ولكم محبتي. تلميذكم جاسم المطير.. ".

في 29/ 5/ 2000 كتب الدكتور إبراهيم السامرائي رسالة تشكّى لي فيها لأول مرة من أمراض الشيخوخة وكان مسروراً إذ كان قد صدر ديوانه فقال "لقد تسلمت رسالتك الحبيبة إلي، وقد جاء فيها انك أرسلت قبلها رسالة ولم تتسلم جواباً أخي أخبرك أني أرسلت الجواب ولكنه لم يصل مع الآسف وكان جواباً ذكرتُ فيه أني أشكو أمراضاً عدة هي ما تقتضيه الشيخوخة . أعود إليك الآن في هذه الرسالة، ولك عندي ديواني وعساك أن تأتي إلى عمان وتأخذه، وهو كبير في أكثر من 700 صفحة .. " .

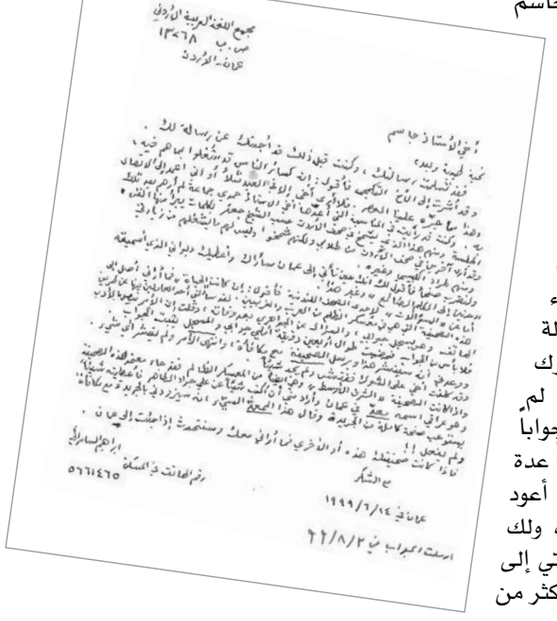

ليس لي إلاّ الكتاب وأنا لاجئ في حمى مجمع اللغة العربية

الأدب العربي القائم ليس مقبولاً، فأي زمان هذا الذي يسمون فيه فلان الفلاني شاعراً وأنا لا أستطيع أن أفهم منه شيئاً. المأمول من الشعر أن يكون متميزاً بقوة هائلة

الإنسان معيار الأشياء كلها.. رحلة مع السوفسطائية في الفكر اليوناني

عبد الله عبد الكريم

يعد كتاب «السوفسطائية في الفكر اليوناني.. اطروحتها ونقدها» للباحث د.محمد حسين النجم، من الكتب المهمة التي تناولت هذا الجانب الفكري بصورة ضافية، والذي بالإمكان احتسابه مرجعا فلسفيا، نقديا لهذا المذهب الفكري. إذ يضم الكتاب محاولة لفهم السوفسطائية والتعرف على أسس تفكيرها، ويطرح خطوط النقد الفلسفي الذي وجه إليها من قبل ثلاثة من كبار الفلاسفة في العالم القديم وهم سقراط، أفلاطون، وأرسطو.

يتناول الفصل الأول من الكتاب تمهيدا سريعا بالظروف العامة التي أحاطت بالمجتمع الاغريقي وأثرت على قيادة تفكيره نحو انبعاث السوفسطائية، ومبحثين بالخلفية الفلسفية التي سبقت وعاصرت السوفسطائية. إذ يتناول الأول (الطبيعة) موضوعا للمعرفة لدى الفلاسفة. فيما يتناول الثاني اكتشاف (طبيعة المعرفة) التي وجهت هؤلاء الفلاسفة لتأسيس آرائهم حولها. بذا يدون المؤلف تطور الفكر الأيوني على أيدي فلاسفته قبل السوفسطائيين، موردا جوهر أفكارهم، وهم حسب التسلسل الزمني: «طاليس، أناكسيمندر، أناكسمانس، هيراقليطس، باراميندس، فيثاغورس، وأمبادوقلس».

الفصل الثاني يشكل جوهر الدراسة. إذ يضم محاولة لبيان أسس التفكير السوفسطائي. وقد قسم إلى ثلاثة مباحث، اختص الأول بالمساهمة السوفسطائية في دراسة مشكلة الوجود، بارتباطها بمشكلة المعرفة، وجاء تحت عنوان «الوجود والمعرفة». فيما تناول المبحث الثاني، طبيعة الممارسة الحرفية للسوفسطائيين باعتبارهم معلمين نادوا بتعليم الفضيلة. بينما يتناول الثالث «الطبيعة والمعرفة»، وهي القضية التي كان السوفسطائيون روادها المطورين.

أما الفصل الثالث حوى محاولة لاكتشاف الخطوط العريضة للنقد الفلسفي الموجه للسوفسطائية، وجاء بمبحثين، الأول بيّن المشترك الفلسفي بين الفلاسفة الثلاثة (سقراط، أفلاطون، وأرسطو)، وهو ما يعد الجانب السلبي في النقد الذي استهدف المواجهة وبيان المصاعب التي تترتب على الموقف السوفسطائي. فيما يتناول المبحث الثاني البديل الفلسفي، وهو الجانب البنائي من النقد. واختتم

المبحث بعرض للنقد الفلسفي للنتائج المنطقية التي ترتبت على المبادئ السوفسطائية فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي.

يعرف المؤلف السوفسطائية بأنها «اسم اطلق على النشاط الكبير الذي مارسه عدد من المعلمين الجوالين Sophists في البلاد الناطقة باليونانية منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، والذين تباينت موضوعات تعليمهم لتشتمل فن القول والنحو، وطبيعة الفضيلة، وأسس القيم، وتاريخ المجتمع والفنون والشعر والموسيقى والرياضيات. وكذلك الفلك والعلوم الطبيعية». (ص 7).

ويرى المؤلف ان هذه التسمية خلفت «تقريبا ثلاثين سوفسطائيا كان الاكثر أهمية بينهم بروتاغوراس، وجورجياس، وانتيفون، وبروديقوس، وثراسيماخوس، وهيبياس، وليكوفرون» (ص 7)، وهؤلاء الفلاسفة «ساهموا بشكل كبير في تطوير اسلوب في النظرية الخطابية».

ويرى المؤلف ان الصراع الاجتماعي الذي حصل ابان القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، قد انعكس على البنى الفكرية، ما أدى إلى اهتزاز الارضية الثابتة للارستقراطية، ودعاها للشك في أصل وتطور العالم، ما وجه النظر إلى (معرفة الطبيعة) والذي انتهى إلى عالمين متقابلين ومتناقضين في الوقت ذاته، وهما عالم الظاهر، وعالم الحقيقة. وقد قاد أمر طبيعة المعرفة إلى عالمين آخرين متوازيين، وهما عالم الحس، وعالم العقل، كوسيلتين لمعرفة العالمين (الظاهر والحقيقة).

وقد أسست هذه العوالم المختلفة صراعا فكريا بين الفلاسفة، وزلزلت الثقة بوسائل الادراك، ما هيأ هذا الأمر إلى ظهور تيارات فكرية عديدة، كان من بينها التيار السوفسطائي.

أما عن أصول السوفسطائيين، فيرى المؤلف انهم «يوحدهم قاسم مشترك، هو تنازع الباحثين حول تاريخ ولادتهم ووفاتهم، ومدة أعمارهم. كذلك لا نعرف بشكل مؤكد، مساحة نشاطهم في اطار البلاد الناطقة باليونانية، كما لا نعرف عدد مرات زياراتهم لأثينا، ماداموا قد امتهنوا التجوال في تعليمهم». (ص 109).

وعن اهتماماتهم يرى المؤلف انهم اهتموا بدراسة العالم الظاهر دون الباطن، مع المطابقة بين الظاهر والاحساس، ورفضوا العقل رفضا تاما. وفي هذا الصدد يقول جورجياس «العقل الخالص من حيث انه يختلف عن الادراك الحسي، أو حتى من حيث انه معيار صحيح كالإدراك الحسي، خرافة». (ص119).

كما ان السوفسطائيين آمنوا بأن الإنسان معيار للأشياء جميعا، وهذا الامر يؤكد نسبية المعرفة من وجهة نظهرهم. وبما ان الإنسان مقياس الاشياء جميعا، فإن الحقيقة لا بد أن تكون نسبية. فهي حقيقة بالنسبة له ما دامت تبدو له كذلك، وهي صادقة لأنها تعبير عن إدراك. وقد دفعتهم نسبية المعرفة الانسانية إلى تجاهل الحقيقة المطلقة، مؤكدين الصدق العام لجميع الآراء. وان التمايز بين رأي وآخر يرتبط بأفضليته، لا بأصدقيته. كذلك انهم شددوا على الاقناع اللفظي كوسيلة لجعل الحجة الاسوأ أفضل، ما جعل التعليم لديهم يرتبط بالرأي، وهو ممارسة خطابية تبنى على السعي لإنبات ما عند المعلم من آراء، في عقول ونفوس المتعلمين، مستهدفا في ذلك إحداث (الاقناع).

ومن ناحية آرائهم في إدراك الوجود الخاضع للصيرورة، يبيّن المؤلف ان السوفسطائيين آمنوا بأن الأشياء بذاتها لا تمتلك صفة ثابتة خاصة بها، بل هذه تتحدد وفق مجرى العلاقة بينها وبين الذات التي تدركها. وآمنوا أيضا انه ليس ثمة امكانية للفصل بين الحامل والمحمول بحكم التلازم بين الاثنين. فليس هناك حامل بذاته، ولا محمول بذاته، بل كلاهما مندمجان ليشكلا حقيقة الشيء، والمعرفة تنصب على هذه العلاقة بين الاثنين، ومن ثم فإن معرفة الوجود تفترض وجود إنسان شرطا لها.

ويخلص المؤلف أن التيار السوفسطائي مثّل انقلابا على الموضوعات والقيم والتقاليد القديمة، وشكل نقطة تحوّل بين عدد من المراحل، بين مرحلة التأمل الفلسفي الذي جعل من الطبيعة موضوعا للبحث دونما اعتبار لوسيلة المعرفة، وبين مرحلة التأكيد على العامل الانساني كمنطلق بحث. بين مرحلة اليقين النابع من الإيمان، ومرحلة إعادة تأسيسه على العقل من خلال ما أشاعه (التيار) من ريبة وشك، وبين مرحلة فهم المسار الاجتماعي بمفردات السقوط الانساني، ومرحلة الإيمان بالتقدم.

وعلى الرغم من النقد الذي وجه للتيار السوفسطائي، إلا انه (التيار) له أهمية كبيرة في تطور الفلسفة اليونانية. فقد ترك أرضية خصبة للبحث، ساعدت الفلاسفة اللاحقين على بناء آراء جديدة، كان لها الأثر الكبير على الفكر الإنساني، ومهدت السبيل لنشوء فلسفات كبرى.

---

* الكتاب صدر عن بيت الحكمة/ جمهورية العراق- بغداد، الطبعة الأولى 2008. ويقع في 319 صفحة

بين البيت والمنزل

عينكاوه.. النص وثقافة ما بعد الحداثة

ياسين النصير

عندما يتحول الوطن إلى بيت،أو مأوى، تتحول كل المدن والبلدات والضواحي والهوامش وحتى المنعزلات إلى بيت، ونعني بالبيت/ المأوى هنا، الطاقة الروحية التي تشد ألإنسان إلى شيء مبهم، غامض، يبقى يلاحقه اينما يحل،فالبيت/المأوى ظاهرة ولودة تتجاوزالسكن إلى التأثيث الفكري،وعبثا نختصرها بالحنين إلى بيت الطفولة،فهو التكوين الملتصق بالذات والشيء الذي يعاد تصويره كلما مرنا بمتشابه ومن هنا أيضا لا يمكن أن نتحرك ذهابا إلى اصقاع العالم وعودة دون ان يرافقنا تكوين البيت،وعلى المبدعين ان يتعاملوا مع اي فضاء، وأي مكان، على اساس انه بيت لشيء ما يسكنه.

مهما كان نوع المكان أوالفضاء، فسمة البيت كائنة في اي تكوين فضائي، وهذه السمة لا تعني إلا أن شيئا حيا يولّد لغة ويشحن المكان بسماته، فالمكان بالنسبة لأي شيء هو مأوى، وللمأوى حالات واشكال وهيئات لا تعد ولا تحصى،حالات تتمظهر مع الشيء وتأخذ ابعاده،وتصبح جزءا من مأوية الشيء، ولا يوصف الشيء إلا بمأواه، فالمحارة لاتعني غلافا للكائن الذي يسكن فيها،إنما هي كينونة كاملة للشيء الساكن ولمأواه، فمأوية المكان هي سمته،وشحنته، واللغة جزء من هذه المأوية، وبدونها لن يكتشف أحد دلالة أمكنته وفضاءاته وخزائنهما السرية.

إلا أن ثمة حال يجب الانتباه إليها، وهي أن تعد المكان الذي تتعامل معه بيتا، متى ما يكون مرتبطا بالعمل فيه، بمعنى لن يكون اي البيت مأوى لك ما لم تعمله، او تشتريه، او تشرف على بنائه، أو تسكنه ارثا، او يعود إليك منحة، فملكية الشخص للمأوى/البيت تعني ملكية البيت/ المأوى للشخص ايضا، وإلا ليس من بيت يولد لغة ولا من شخص يعيد بناءه مستقبلا، ويكون البحث عن البيت بحثا عن الذات ووجوده يعني وجودا للذات،هكذا وجدنا رحلة الراوي وهو يبحث عن بيته/مدينته فهما بيته ومأواه، وعليك أن تعد كل الامكنة التي تفتقد لصفة المأوية الدائمة منزلا،والمنزل لا يستحق البحث عنه، فالبيت كينونة تمتلك خصوصيات ساكنيه وبُناته، بينما المنزل يفتقد للمأوية إلا بحدود انه سكن مؤقت، والمؤقت هذه لا تعني تشكيلات ثقافية خاصة بمن يسكنه، فغرفة السجن ليست مأوى، بل منزلا تغادرها بعد انقضاء مدة المحكومية، لأنهامعدة لسجناء آخرين، وتسمى منازل لانها مغلفة باطر وابواب ونوافذ، ومكورة، وبنيت على اساس انها مكان للحجز مع أن كل ساكن يترك جزءا من حياته فيها ويحمل جزءا من لغتها معه، ،هذه الامكنة لا تعتبر بيوتا، بل منازل، شأنها شأن الامكنة التي تبنى على الطرقات، او المحطات التي يمر بها المسافر، او البيوت ذات السكن المؤقت،كالفنادق، أو السكن الجماعي، كما لا تعد المقاهي بيوتا ولا امكنة العمل بيوتا ولا حتى بيت الجيران لك بيتا.

للبيت سلطة على ساكنيه بينما ليس للمنزل تلك السلطة

نحن بصدد نص مكاني واسع وكبير هو "عينكاوا" لا اقصد النص المكتوب، فالمكان له نصه الطوبوغرافي الخاص الذي يتألف من لغة الأشياء، وقراءتها بصريا تستدعي الذاكرة، ومن هنا فعينكاوا ليست كما كتبه عنها سعدي المالح ومارواه الرواة ومدونات التاريخ عنها، إنما هي البيئة والاشياء والناس والحياة اليومة والاسواق والجغرافيا والطرقات والأزقة والمواصلات والجبال وكل الأمكنة التي تغذيها أو تتغذى منها، فإذا بنا في بقعة جغرافية ممتلئة بالمعلومات توصل اربيلا بما تجده فيها، وتنهل من اربيلا عندما لايكون فيها، هذه الديمومة المصحوبة بلغة الرواية هي الفاعلية الفضائية لأي نص يعتبره الرائي بيتا، واعتبار عينكاوا بيتا يعني العيش في ديمومة شحناتها التي لم تنطفئ ولن تنتهي مادام هناك من يعيد تركيب الأشياء وفق سياقات النص الجديد.من هنا فعينكاوا نص يتناسب وثقافة ما بعد الحداثة، اي يعاد تشكله عبر الزمان والمكان، "في الطريق كنت واثقا من نفسي من أنني سأتعرف على بيتنا وسأقصده مباشرة" تأتي المعرفة ذهنية ومن الذاكرة فراوي عينكاوا ما يزال يحمل شحناتها، هذه المعرفة المضمرة بعد هجرة سنين طويلة تولد احساسا بجغرافيا المكان فهو لا يتحدث عنها بل يتحدث لها ثم يستمع لما تتحدث به عبر القديسين عن نفسها،ما يتحدث عن المدينة في داخله،يتحدث عنه ايضا، والفرق بين ان تتحدث عن المدينة وان تستنطقك المدينة هو تشكلات النص في كل معايشة جديدة لها. ليؤكد ليس حياة الشخصيات التي مرت عليها فقط، إنما لإعادة تشكيل ثقافة الشخصيات وهوياتهم، ومن ثم يدمجهما بالهويات الانسانوية العامة،البحث عن البيت في عينكاوا هو البحث عن عينكاوا في البيت،وفي الذاكرة، وبالتالي يشكل البحث عنهما بحثا في تاريخ الامكنة عبر الازمنة والتواريخ والتشكيلات الاقتصادية والدينية والثقافية،من هنا ليس ثمة ثيمة محلية مغلقة، هذا ما يحاول سعدي المالح بثه لنا عبر الراوي الذي يتقمص شخصية المؤلف، بل هناك دمج عالمي للهوياته مع الاحتفاظ باجزاء كثيرة من خصوصياتها المحلية، نحن في سوق العولمة الثقافية، وننتمي لهذه السوق عبر اندماج امكنتنا فيها،فما نجده من بضائع وأشكال هي نفسها موجودة في أمكنة عالمية، ونستطيع الانتقال عبر الفضائيات إلى اية زاوية في العالم، فخصوصية اية هوية تعني انها ضمن الهويات وليست منعزلة عنها،عينكاوا واحدة من المدن التي تمتلك تراثا وتاريخا وحضورا قديما وآنيا،قادرا على البث المستمر ، وثمة فروق كثيرة بين ان يكون للراوي بيت فيها جاء ليبحث عنه في عينكاوا، أوان يكون له منزل فيها سبق وان سكنه، فالبيت حقيقة وجود لذاته ولمن يسكنه، والمنزل حقيقة كيان يتغير بتغير ساكنيه، لا يكون البيت بيتا إلا لمن ابتناه واصلحه وعرف تربته ومادة إنشائه وارتبط بالحاجة إلى ان يكون امتدادا للرحم، بينما لا يتعلق المنزل بساكنية بمثل هذه الوشيجة الرحمية، فالمنزل قطعة عابرة في الزمن انشأ ليتغيرمن يسكنه، بينما البيت قطعة من الجسد/الذات، انشأ لتوارث ساكنيه،ما يصيب الجسد يصيبه والعكس كذلك، فالبيت يورث للأحفاد هكذا تحدث الجد عن الأرض، بينما المنزل لايورث،بل يستأجر.، ولا نسأل عن الطابع الرحمي في اصلاح الخلل اثر عطب او خطر يحدث فيه،بل نسال لماذا يتعطل اصلاح البيت/الجسد، حينما لايكون ثمة من ينتمي إليه ؟

في كتاب سعدي المالح "عمكا" ثمة بحث عن تاريخ الجسد/البيت، فجسده بيته ،وليس ثمة اي بحث عن منزل سكنه وعن التاريخ الذي تشكل فيه،ولأنه معني بذاته وهي ذات الجسد وذات البيت، نجده يوزع كتابه على فصول، يستهل الفصل الأول منه بمدى التاريخ الذي شكل الجسد/البيت وتعتبرالمسيحية والأرض قاسما مشتركا بين الجغرافيا والناس،ولأنه بيت بتاريخ استعار تاريخ كل من سكنه وغادر، وسكنه ومات فيه، وسكنه وتحول عنه، وسكنه وكتب عنه، وعبر مئات الارشيفيات والمدونات يستجمع سعدي المالح تشكل تاريخ جسده/ بيته، فوجدناه جسدا لقوم لهم تراث، ولارض لها تاريخ وكيان متعاقب الوجود.

هذا الكتاب مكتوب بحميمية من يتتبع خطوات تاريخ بيته، وهو هنا "عينكاوا" هذه المدينة التي خلقتها السماء والارض، زرعا وترابا وناسا وتكوينا، تستحق ان تكون بيتا للجميع وهي كذلك مادام الأموات يأتون إليها والاحياء، مدينة مرت عليها اجيال"أمم" وارختها باعمالهم كما أرختهم بوجودها فيهم، ونشأ بين الاثنين حكاية الجد الذي يحكي لحفيده من على ظهر حماره قصة هذه الارض، ولأن عينكاو رحما لمن بناها وإرثا لمن يفلحها، ارتبطت بالزرع والمنح والديمومة، فالزرع وحده قرين الأنبياء، والحبل السري الذي يوصل رحم الأرض برحم الساكنين، ولن يكون للزرع معنى دون ارتباطه بالأرض/ السماء،كل الأنبياء كانوا، إما راعاة أو زراعا، وعمل الإنسان هو تحويل الارض الخصبة إلى بيت رحمي، يشد الأبناء بعضهم لبعض ويوصل ما انقطع من التواريخ ،فالزرع سجل والحصاد تدوين، وما الاديان إلا أجزاء من هذه الرحمية الدائمة التدوين، ديانات مشبعة بحضور القداس/ الزرع في الارض .

للبيت سلطة على ساكنيه، بينما ليس للمنزل سلطة على من يسكنه، سلطة البيت هي الموقع الباث المهيمن على من فيه،هي الهوية المتحولة إلى علامة، هذا بيت فلان وهذا بيت مقدس،وهذا بين علان، ليس مرد هذه السلطة المال أو الوجاهة أو النسب،، فالبيت لايطلب مالا ولا وجاهة لانسبا، بقدر ما يطلبها المنزل،حيث فراغه من انتمائية بناته يصبح مكانا عاما لمن يستأجره، فالسلطة وظيفة البيت/ الأم وهو ماتوطنه لابنائها من ارث الشحنات المكانية التي ترافق سكانه اينا رحلوا وأقاموا..

في البيت يصنع الإنسان تاريخ الامكنة، والذكريات جزء من هذا التاريخ،ما ان تغادره حتى ينتزعها البيت منك، لتبقى ضمن احجاره وهوائه وشحناته وتركيباته، ولأن الذكريات موطن الروح، تعلّم الذاكرة بالمسافات فيما بينها وبين من سكنها: هنا جلسنا، وهنا ولدنا، وهنا توفي الأب، وهنا تمت خطبتنا، وهنا تزوجنا، وهكذا تصنع المسافات لغة الذاكرة وتحدد بشحنات الفضاء العام الذي انتقل معنا خلال رحلاتنا مع ما تبقى منه مضمخا في احجار البيت وهوائه وترابه وفضائه، فالمسافات في الذكريات تقيس ما بين نقطتين الأولى معلمة في البيت،واضحة ولها شواهد، والثانية ترحل معنا، إلى اصقاع العالم ومجاهله ، نستعيدها باللغة،ونحاول تجديدها بالذكرى ثن اعادة توطينها الذاكرة خوفا من ان ينقطع الحبل السري بين النقطتين.هكذا هي الهجرة دورانا حول مركزين، وسياحة بين مفازتين، رحيل ثم عودة وقد لا تتم عودة الجسد لكن الذاكرة ما تزال تحتفظ بالنقطتين والمسافات التي صنعتها الرحلات والذكريات.

أما في المنزل فلا يكتب إلا تاريخ المنزل، حيث يتحول عبر الذات إلى نقطة سكن وليس إلى انتمائية سكنية،فالساكن فيه عابر لغيره، إذ ليس للاشخاص الذين سكنوه اية علاقة باحجارة ومسافاته ونقاطه وتفاصيله، ومن جاء إليه ومن رحل عنه إلا بعض الذكرى لمن ولد فيه، هذا فيما إذا اعيدت حكايته الكبرى، المنزل لا يحوي إلا الذكريات الفردية، ولذا لا تاريخا جماعيا لمن يسكنه إلا ضمن التواريخ العامة للمنطقة، بينما يمتلك البيت وحده ثلاثة تواريخ: تاريخه الذاتي، وتاريخ منطقته وتواريخ سكنته.

يكتب سعدي المالح عن بيته الكبير"عينكاوا" بذكريات سردية مشبعة بالمثيولوجيا، حسنا أنه هنا يستثمر ثقافته، ولكنها لا تعينه دائما ما يعيد الحياة إليها عبرعلاقاته مع امكنة اخرى واشخاص وحوادث، فالمثقف إذ يعيد تركيب ذاكرته نجد الإعادة تقترن بعشرات التواريخ المستقيمة والدائرية ،تلك التي عاشها وتلك التي استحضرها وتلك التي نبه إليه وتلك التي نشأت من تداخل بعضها ببعض،وبجموع مفردات هذه الذاكرة نجده متتبعا اثرها في خارطتين كبيرتين: اربيلا مكانيا وفضاء واسعا احتوى العالم ضمن تصور أهلها، والمسيحية دينا زمنيا متقلبا ومتجولا ،واضحا وغامضا، مختصرا على فئة ومنتشرا كالريح،وانتقالة المكان من البدائية وديناناتها إلى المسيحية وافاقها استغرق رحلة بشرية كاملة،هذه الرحلة هي جزء من تعميم مثيولوجيا الثقافة،.فالثقافة صناعة مكانية قبل ان تكون زمانية، ومن هنا تكون فالزراعة والتوطين والانتماء للبيت الكبير وللمعارف ولمن يحرس "عمكا" – الأسم التوراتي لعينكاوا- شركاء في صناعة تاريخ البيت،القديسون وحدهم يحرسون هذا التاريخ ويديمونه فهم البقية بالرغم من موت اربيلا في عينكاوا وحدود شخصيتها وجغرافيتها، القدديسون هم حراسها وهم من يعرف من يغادرها ومن يدخلها، وها هو الراوي ياتي سائلا عن بيته، فإذا به يواجه القديسين كدليلين له و"لعمكا"، هذه السيرورة الدائرية مكانية، حتى الموت فيها يكون دائريا وضمن ابعاد الفضاء الخاص بالمنطقة، وسعدي الراوي الذي يتلبس شخصية مدون التاريخ ومؤرشفه، لم يكن حياديا في الوصف، بل منطلقا من فكرة أن: ما يكتب عنه هو بيت –هـ –.حتى لو لم يجده.

ترتبط الزراعة بالبيت،ارتباطها بالقوت، وارتاط القوت والبيت بالحياة، يعد ارتباطا غريزا ووجودا كيانيا، لذلك كان كل الانبياء إما رعاة أو مزارعين،ولم يحدث ان نشأت قرية دون زراعة،ولم يحدث ان نشأت حضارة دون ديانة،ولذلك تجد المدن الدينية حية ولها عمقها الفكريوالتراثي، لكن المدينة القاضمة للزراعة،المانعة للخصب، والمستهلكة للقوت،والمتحولة إلى سوق هي المدينة القاضمة للحب وللحياة، لذلك كانت المدينة مرفوضة من قبل كل الشعراء، بما فيهم مفكري ما بعد الحداثة، لانهم عايشوا فكرة التشظي للمدينة بتغليب الهوامش والأجزاء والثانوي، هذا يعني ان سعدي المالح وهو يكتب عن عينكاوا، يكتب عن تشكلاتها الاقتصادية والعمرانية يوم كانت قرية تزرع،ومساحات فارغة وشواهد من انصاب الحجارة، عاشها القساوسة والكهان وعامة الناس، وانتقالاتها عبر التاريخ، ثم تحولها من الزراعة إلى العمل،ومن العمل إلى الهوية بعد وضوح علاقتها باربيلا،وها هي تبحث عن ذاتها عبر حكايتها ومدونتها، وتميزت عينكاوا بأنها غيرت علاقة الاديان بالناس، حين اتسعت ثقافتها، وتنوعت مداخلها، ودخلت في اشكالية معرفية مع غيرها،بصياغات حروب واتفاق ونزاع وتداخل اجناس، عندئذ تغيرت المدينة من سياقها التراثي القديم إلى سياق السوق الحديث،لينهض عبر المدونات تاريخا وسلالات من بقي ومن رحل، ونجد عينكاوا الممتلئة باللغة التاريخية والمنبثقة من ذاتها كمكان خاص، ومن اربيلا كفضاء جغرافي وتاريخي كبير، تستحضر عبرها كل تواريخ المنطقة، ولذلك بقيت اسما ومدونة متجاوزة كل الكوارث والحروب، وفي مثل عمقها الحضاري لابد لاية مدونة حاضرة او غائبة ان تمر عليها فهي كما يصفها سعدي " بيت مقدس" والبيت المقدس له علامة مع كل بيت ثابت السكن ومنزل متحول السكنية..

بين الأنا والإله والقديس نشأت عينكاوا، هذا المركب الثلاثي للنشأة لم يوضع بمواجهة بعضه البعض، بل جاء متداخلا، حضورالانا- الناس- اقدم من حضور الإله، وحضور القديس اقل تاريخا، فالأنا هنا هي المكان، هي البيت/الفضاء، ولما حط الإله فيها نازلا من سمائه،اصبح له بيت، مثل بقية البيوت،لكنه بيت مقدس، ولما جاء القديس سكن بيت الله، افضل هذه المساكن بيت الناس، خاصة إذا كانت الناس مهاجرة ثم عائدة بعد غربة، فتضيع في دراين البيت بيت الزمن المعاصر، بيت الحداثة والعمران ومتغيرات الطابو والأرث، وضهور الابناء الجدد الذين تربوا في الحروب والاحقاد وهم يوزعون ويتوزعون على بيوت الله والقديسين ومن خلفهم يتراكض الدعاة ليقنع هذه الجماعة او تلك للانتماء إلى طريقتهم وليسكنوهم بيوتهم المؤقتة – الملاجئ والمنعزلات- ولم يفعل ذلك سعدي المالح الباحث عن الاصل للبيت الارض التي تستقبل مني السماء فتورثها الزراعة والقصباء والابناء، بل كان احد ضحيا الاضطهاد فهاجر وهُجرت اسرته واغتربت ثقافته، هذا الابن الباحث يبحث بين كنيسة واخرى، بين مسجد وجامع آخر،بين بناية واخرى، وإذا به يجد علامات لبيته موزعة في كل البيوت، وكأن البيوت بيتا واحدا، وإذا بعينكاوا المدينة تستعيد بابلن واكد، وأور، واشور، واربيلا،و وتستعيد سعدي نفسه وتسكنهم جميعا في بعضوة العيش ضمن اربيلا. لتصبح اربيلا فضاء للمكان وفضاء للراوي.

معراج الولد الأحمر

طالب حسن

إلى... يحيى

لماذا
حينما أسميه
بلقبه – السماويِّ –
يصعدُ الدمُ من
نسغِ الكلمات
ويتقوضُ أثريَ

في أثرِ
ظله . . . ؟
****
لماذا
حينما أدخلُ صرحَ
وردته العابقة بالغيابِ
أو أدنو من قربان
ضحكته التي أطفأها مبكراً
ذراعُ السيافِ
أتبتّل بحضرته
مثل طائر من ثلج
وتنعسُ ألأيامُ بقلبيِّ

فأختارُ الإقامةَ
في لوعة مداره
وتختصرُ روحي
كلَّ المسافات . . ؟
****
هكذا
كلما مرَّ وجهه الحافلُ
بأغاني القداحِ
وتسورت ضحكته الجذلى
بستانَ حزني
أراهُ يجاورُ أقمارَ العشبِ
ويضاهي البنفسجَ في ملكوته

كأنَّ ثديَ الأرضِ
أرجوحةٌ لسريرِ فمه الضاميءِ
للعناق
****
هكذا
كلما توغلتُ في
فضاء سماواته البعيدةِ
يأخذني من مدائنِ حيرتي
ويعرجُ بي
محتدماً . .
حتى أقاصي
البياض .

كتاب الجنون

شاكر مجيد سيفو

السلام على حليب الجدّات وهنّ يتذكرن انفجار الزبيب في أثدائهنَّ/ السلام على العصير الأحمر وهو يراق في الكرادة بسخاء.

على زبيب راوندوز وحلمات نسوة القيمر/ كم كتبنا بحليبها ارجوزات السلام وطردنا من إفواه الطفولة اهواء الظلام/ نحن شربنا عصر النجوم كي نُضيء بثمالتنا العالمين ندورَ حول العالم فستدير بنا الدنيا ندور في سُرتها، نتلمظها وندوخ ،يا الله أنتَ دورّتَ بغداد فدّورت قلوبنا ساعتها الذهبية/حينها تعلمنا أن نهرب أرقامنا العسكرية بعيدا عن الموت، كُنا نتنفس رائحة بخور الجدات في بابل وكانت لنا بئر يتيمة جرّحتها الريح والجنيات/خبأنا فيها عيون الفرات وخبأنا دجلة في نون نينوى وعلقنا الجنائن في أعناقنا وعقدنا قراننا في "عقد النصارى" وارتكبنا الجنون في سوق الغزل وتركنا الماء يجلد أجسادنا في حمّاماته كنا نخطّ الذكورة بالفضة والأنوثة بالذهب.

****

السلام على القمر وهو يناديا إلى قيمره ويجرّ ذكرياتنا في غموض خواتمه ونحن نرعى طيوره في حقل الملائكة/ السلام على نخلة اللهَ التي نذرت رطبها للسماء وارتفعت بابل بها وطالت البصرة الزهّرة وحديقة الأمّة ترقد على ذراع الباب الشرقي هناك حيث عضّ الرماد عيون الصعاليك وتخاصم باعة البالات على قميص "السعدون" وأزهار -حسين مردان- ضاعت عكازة الرصافي في الميدان/ كانت يدُ الطوفان تمدُّ اصابعها في سبأ وتزرع في اكفنا اصابع جديدة كي ننوش الرطب في "الوزيرية"،ونطارد بريشة المنصور غرابا يقبض على ذكرياتنا في قميص الغروب في "المنصور".

****

السلام على الحلاج وهو يفرّ بشاهدته إلى "ساحة التحرير" هناك تذكرنا كيف كنّا نلعق عرقنا في سَياط الامبراطور، هرّبنا الذكورة في عذوق شبّابة حينها اجتزنا "جسر الجمهورية" نشرب -على عجل- نخب الحمائم /أخذتنا حمامات "ساحة الطيران" فتركنا لها مرايانا تتمرأى فيها صقور الرشيد / وصلنا ايثاكا الشعر فاستقبلنا الصائغ، فدخلنا معه سرداب النثر..

****

السلام على شمورامات وهي تدلك نهديها برغوة صابون الخابور /حينها طارت الحمامات كلها من كتفيه وحطت في مرايانا /أيقظت مياهه عصافير آشور فدعتنا إلى جنون الشمس/ كنا نكتظُّ بذريتها نبحث عن أمهاتنا اللائي كنّ يرفن اسمال الجغرافيا/ تاهت بنا جنازة زورق من سلالة أكد /كُنا نخيط القرابين من ذكريات السماء ونعبثُ في الظلام بذكريات الرشيد/ كان الرماد والريح والغبار يعبث في أفواه الرعاة وينفجر الفجر في أحداقهم فيشعلون قمصانهم ويضمدون عضلاتهم بالزرنيخ ويخلعون خواتمهم ويزرعونها في أصابع بغداد وأحيانا - يحرثون أجسادهم ويدونون بزيوتها وترابها تاريخ الرماد.. كانوا يطيرون مع "الخضرالياس" كل أربعاء إلى الدير يغتسلون هناك بالزيت والنار والهواء ، ويدونون فتنة الجمهورية على جدارية "جواد سليم" فتطير من الفرح حمامات"فائق حسن" هنالك سكبنا أحبارنا أي أرواحنا، في مخطوطة الأزل...

في مخطوطتي رأيتُ الله يبكي في مرآتي ويسهر على رئتي ورئات بلادي/ كُنت أشمّ عطر دلمون وهي تركض بيَّ فيَّ، و بلغة الظلام /كان بورخس يكتب ويصيّر كل شاهدة سنبلة وكل شامة نخلة وكان ليل بغداد بالتوماهوك ينتحر/ فرغبت بثمالتي أن اصل ساحة الفردوس وان ارشق ظلال الكرادة برضابي كي تُنظف أسنانها من سخام تشرين وتُهرّبَ ذُرية سيدة النجاة إلى الله بعيدا عن ذكريات الجان والجنّ والجنيات والظلام.

****

السلام على آدم ،أبي الأول وآدم الصغير الذي حمل نفسه إلى الأبدية/ أبي الذي تركني في ذمة التراب والمطر والطواحين واصباغ جلود الهرفي ومقص الحلاق-يوحنا السّقّان- وهرّبني في "ورق اللف" في ذكريات التبغ والدخان لأمضي إلى ذكريات يحفظها الفجر وهو يجهش بالنواقيس والديكة والمطر وأنا اجهش بالعدس والألفباء /كنت أحاول أن اصطحب معي إلى القيامة ناقوساً شارداً ،قيل أنه ربطة بيضاء لعنق الأب الشاعر يوسف سعيد /حاملا جرة من خمور "ناقورتايا" وكدمات هي كل ذكريات الطبيعة في دير "مار بهنام" هي ذكريات الذين قد حرثوا أجسادهم بأغصان الزيتون /أنا الذي مشيت على ركبتي بجنون أبي نؤاس ضيعت قيثارة الحدائق في الكرادة فعلّقت في عنقي قلادة نخلة الله في بغداد الجديدة فهرّبني الملاك الحارس إلى البصرة وهناك علّني مجانين العشار على نخلة كانت تجمع في رطبها اسماء مجانينها/ فقرأت اسماءهم في ثمارها ولعقت جنونهم: كنت ادون اسماء الحمامات التي ضاعت مني أو التي سرقها الصغار في سوق الغزل هناك تركت الأصدقاء يلمّعون راحاتهم بالدمع والرضاب فبكيت حتى ابيضّت عيناي وجفّ الدمع فيهما وانتحر الفجر في بؤبؤ الديك وطارت أحداق الديكة من كتاب الألفباء...

****

.... والى سومر مشينا بذكريات خضر نفتش عن أجراس عمياء /كنا نحمل الهواء في جرارها فضعنا في لون سحنتها حينها ضاع منا-جبار ابو الشربت- منذ ثلاثين ونحن نزرع القرنفل في المشتل وننام في حاجب الباراسيتول وفي رسومات أحفادنا نتشاجر على ألوان الباستيل وعزرائيل يبحثُ عن سيرته وذكرياته وساطوره الذي ضاع في -كمب سارة-..... يا ظلي القديم يا هذا الذي يسنده المشيعون إلى الجلجلة ويعود الي بالجغرافيا "ولحم بعجين" يُبّدل السماء بحدقتي يسوع ويُبدل همبركر "أبو يونان" بفلافل "القيصر".....

تعال يا ظلي ،تعال الى جسدي ،خذه ،علّقه على أقرب عمود كهرباء في شارع الحرية....

****

منذ ثلاثين ونحن نعد الجثث والطوفان يأخذها إلى أعياده ونحن نتنزه تحت أمطار طيماثاوس وفوق سرير انخيدوانا نترك في بريد العاصفة مفاتيح النوم واللذائذ ونجمع من سلاسل الرغبات حلمات أثداء البابليات اكراما للقمر ولعشتارودموزي /هناك ارتطمت اجسادنا بغيمة الآلهة فانسكبت طفولاتنا على باب بابل.....

****

السلام على الطير وهي تعرّفني على أبنائها وعلى ضحاياي/ أنا الذي طردت من رمادي فتهدمت صورتي ، وحين عدتُ أجمعها وأعلّقها بسرة الأرض آرتجفت بقامتي الاشجار والنار والمياه والتراب والتمعت مرآتي وتاه الاصدقاء في لمعانها وانغرزت عيون الجميلات في رملها فعدتُ أجمع أرواحهم الطائرة وأصطحب معي سكارى وبكائين ومشعوذين في طوفان دموعهنّ في نهار أربعاء الرماد وثلاثاء الصالحية وخميس ساحة عدن/ قرأتُ سورة الخراب في قاموس نينوى واحزان الكلديين في قميص بابل وكحل عشتار وعطور دموزي/ كانت تمشي بي المراة إلى أرارات هناك علقت قميصي الاصفر الوحيد وعُدت إلى محلة مار يوحنا المعمذان شربتُ ثوب طفولتي فتذكرت دموع أمي... كانت لنا أمهات يلدن قُبرات فوق برج الناقوس و يدخلن المذبح ومعهم الأنبياء ،فتصاهرن معهم فولدت بغداد....

ومع العدس والفول تصالح يتامى الصالحية وتصافحوا مع الريح وهواء أفلاطون /ذهبوا بعرباتهم دون الحوذي / كانوا يخبئون التوسيرام والساملين في حناجرهم وفي عيونهم يزدهر التراخوما والغبار وفي حقائبهم شوكولاتا الشورجة ،هناك تزوجت اناث النار بالماء وعقدن قران الجمر بالبحر فتطير حمامات شارع النهر إلى ابي نؤاس وتعطّ رائحة المسكوف فوق ساحة النصر وتشتعل ذكريات مجانين ساحة التحرير بعد أن تخاصموا مع مجانين السعدون/ كان الغبار يعفط لهم والامبراطور يشوي اجساد الجند ونحن نتصفح كتاب الجنون في ساحة الاندلس تحت هذر طائرات الففتي تو"52"، يا ليل بغداد! من يدلني الان إلى حقائب أحفادي كي أكنس الرماد عنها.من يدلّني إلى ليل نينوى؟ ها أنا قد تعثرت بأجراس عمياء فهرعت بقامة الله اقبل سُرة السماء فانهمرت دموع الخابور من عينيّ وفاض دجلة ، وضاع مني خاتمي، حينها آنتخبت دانيال والجنيد والجامعة فحشروا خاتم بغداد في بنصري واستعاروا مني عشبة كلكامش كانت تعبر بي إلى ثلاثة وثلاثين نبي ، وسقف مُخرّم شيدته بنقشات بدلة "كلخو" وارسلت لبغداد آخيل ملائكتي حينها تذكرت هومير يجمع لي غيوم ايثاكا كلها في حدقتي كي احتفظ بجنون اصدقائي واجمع نِقاط شيبي المعلّم بالفضة في البوم جديد بانتظار من سترسلُ لي حلمتي نهديها بدلاً من زبيب راوندوز /هنا، حرضني، وعطسّني طبشور الخلدونية أن أخطّ به أسماء صديقاتي على لوح السادس الابتدائي لتتجب لي ذكريات يطيل بها عمر النهار وتنور نشوي فيه ذكريات أمهاتها الأرملات واللائي ذهبن بدموعهن دون عسل الذكورة ومرايا تجري فيها دموع عشيقاتنا اللائي كُنّ -دائما- يستحمن بعسل ذكوراتنا ومرايانا.....

****

سأعود إلى كتاب الجنون وأقبّل فيه نيتشه وهيغل وسارتر وميرلوبونتي ومايكوفسكي وهمنغواي وهنري ميشو والمعري وكافكا وفوكو وياسوناري كاواباتا.....

ومجانين باب الطوب وباب جديد والباب الشرقي وباب المعظم. يا الله هذا باب جديد تهرب منه بغداد وحين يقفل روحه باب نركال تهرب نينوى/ هناك يرعى الضحايا أأحداق بنيهم ويقيمون جسورا للخضرة والعائلات وأخرى للقيامة، يا الله ياالله عادت إليك روحي مثل حمامة فهل ستقبلها؟ هل ستقبل هذه الحمامة؟

إطلالة..

محمود البريكان بين الصمت والعزلة والرحيل المؤلم

صباح محسن كاظم

ربما الصمت أحياناً أبلغ من الكلام؛فالصمت الارادي هو إعتزال للسائد التافه، أوهي عملية رفض يقوم بها المبدع تجاه أوضاع سياسية أو إجتماعية لايركن لها بل يدينها صمتاً، وكثيراً ماقالوا: إن الاعتزال فلسفة من أجل التأمل ونقد الواقع المرير بالعزوف عن المشاركة فيه؛ إن الصمت والعزلة التي فرضها الشاعر المبدع محمود البريكان ـ من الرواد ـ بكتابة قصيدة النثر تمثل جدلية النبوغ الشعري وفلسفته الخاصة بالركون إلى التواري وعدم الظهور أو البوح والتوقف عن النشر والطباعة رغم ريادته الشعرية تزامناً مع السياب والملائكة؛ صمته البليغ إدانة للبشاعة والزيف واللاعقلانية وجميع مايسيء إلى كرامة وإنسانية الانسان، إن دراسة مراحل نضجه وعبقريته المتفردة أكد عليها (جميع معاصريه) خلال القراءات المعرفية العميقة وحبه إلى الموسيقى الكلاسيكية وإطلاعه العميق على الفكر العالمي،يقول حسين عبد اللطيف: ولد في الزبير عام 1931 وإغتيل ببيته طعناً 28/2/2002 درس العربية في متوسطة الغربية 61 ـ 67، ثم انتقل الى البصرة المركزية ثم معهد اعداد المعلمين، لم يطبع بحياته شيئا من آثاره لكن نشر 85 قصيدة من ضمنها ملف الاقلام (عوالم متداخلة 1993) و(سدم ،تكوينات، عوالم1998) ترجمة بعض قصائده إلى الانكليزية والالمانية ضمن انطولوجيات عن الشعر العربي واول من كتب عنه الشاعر عبد الرحمن طهمازي(محمود البريكان: الاحتكام بالاسرار).

وقد فتحت ملفات في الاقلام بحياته؛ وبعد وفاته في ملف الزمان والمدى ،وقدمت إطروحة للماجستير في حياته 1997 من جامعة البصرة؛ وكتب عنه الكثير من الاكاديميين أو النقاد ومن الدراسات المهمة (محمود البريكان بين فلسفة الصمت وصمت العزلة) دراسة فلسفية لما قبل الفاجعة ومابعدها ـ علي حسين الجابري2008 ـ دار الحكمة ـ بغداد يكتب الجابري: بالمقدمة ص27 تكشف لنا صورة البريكان:(الانسان والمفكر والشاعر) الذي يسخر عبقريته ويستبطن مكنونات (الواقع، التراث، والاخر،والمستقبل) ومايترشح عن ذلك الجدل من حساسية ذاتيه عالية أزاء الصورة (الفكرة) والمقولة الكلية المعبرة عن الواقعة الجزئية المقتنصة ببراعة بفضل (الثروة اللغوية/ الثقافية) الهائلة التي منحته القدرة على(اقتناص المفردة والفكرة والصورة والموقف) والارتقاء بها، وعليها الى الافضل والاشمل حيث (الحلم الانساني) الذي يتوزع يقظة الناس ونومهم.....) وأهمية الكتاب وذلك للمرحلة التي عاشها الكاتب معه في مراحل دراسية مختلفة منذ بدايته الشعرية في أواسط القرن الماضي أو حين عين الكاتب في البصرة في دار المعلمين بالبصرة كمدرسين من 69 ـ 71 وكانت حوارتهم المشتركة تركت أثراً بارزاً عند «المؤلف»

من قصيدة ارتسام

في المطعم الصاخب
أطل من خلف الزجاج،عابر صغير
بوجهه الشاحب
أطل لحظتين
اسقط قطرتين
من مطر على الزجاج البارد القاسي
أغمد نظرتين في الاطباق نهمتين
وحك انفاً وسخاً صغير
ببارد الزجاج،لكن اعين الناس
همت به فغاب
وظل رسم وجهه الهارب
على زجاج المطعم الصاخب
كالوشم في الضباب»

القدرة في تحريك المفارقة تكمن بقدرة البريكان برسم الصور المحركة للمشاعر من خلال تناقض المواقف.. بين نقيضين الفاقه والخجل والاسراف واللامبالاة بين شريحتين فوقية إرستقراطية وتحتانية مسحوقة.... وفي ملف (الزمان) كتب العديد من معاصريه ومجايليه بما يليق بتجربته الابداعية.

يذكر د. حيدر سعيد: (لقد بدا ،في لحظة من اللحظات، أن صمت الشاعر يمكن أن يكون، بذاته،قيمة شعرية كبرى، وقد تجسدت هذه القيمة في صمت محمود البريكان....) (.... غير أن هذا الصمت سيُعاد تأويله بأنه ذو قيمة شعرية لا تقل أهمية عن قيمة النص الشعري،... الشعر والصمت لديه جوادا رهان لايتقدم أحدهما على الآخر...).

يقول الاديب البصري مقداد مسعود: (الذي يطل على نوافذ البريكان الشعرية، سيرى كيف يفتح الشاعر نوافذه بتبئير شعري ليرينا ماهو موجود ضمن بؤرة النافذة، والشاعر يحصن جملته الشعرية عبر التكيف الشعري دون أن يؤثر سلبيا على توصيل بثها الدلالي فهو يجعله يجري عبر قنوات الاقتصاد في الاسلوبية علما ان مفردة (نافذة) لا تتخلى عن دلا لتها اللغوية/ المعجميه بل اضاف اليها الشاعر البريكان حمولة جديدة من الدلالات عبر المعنى الايحائي للمفردة ذاتها وبالطريقة هذه فان الشاعر يحيل المألوف إلى مدهش عبر لغة شعرية/ بريكانية توهم بالعادة الشعرية و المباشرة لكن الذي يتمعن فيها سيرى ان العادي او المطلي بالعادي هو بحق (التفوق الذي يحدث الدهشة). إن الوقوف على مشارف تجربة الصمت تتطلب حلقات أخرى سأحاول جاهداً التأمل في تلك التجربة الخالدة.

تلك اليد الغريبة

كل ما نراه أو ما يبدو لنا، ليس سوى حلم داخل حلم.
أدغار آلان بو

عدنان المبارك

خرجت من البيت وأنا أغلي. كان شجارا تافها حقا بل غير معقول. بقيت حانقا لأكثر من نصف ساعة ثم سكنت وكما يحصل مع الماء الفائر بعد ابعاده عن مصدر الحرارة. سبب الشجار كان النسيان الذي يشلّ رأسي من حين الى آخر. ونحن الاثنين عرفنا بأن الضغط الجوي المرتفع وأرق الليلة الأخيرة بسبب تلك الأمطار الوحشية ورعودها وبروقها التي قطعت الكهرباء عنا مرتين، كانا من أشعل هذه النار التي هي، بالطبع ، صغيرة و سريعة مثل نار القش. الخطأ هنا مغادرتي البيت كي أبتعد فورا عن (عشّ الزنابير) - هكذا أسمّي البيت بعد كل شجارأو مناكدة. تأخذني العزة بالإثم وأغادر البيت. كلانا مدرك أنه مجرد شجار عابر ولا يترك عواقب جادة. لكني هكذا - الأعصاب تطيش من وقت الى آخر وأخرج من البيت. أكيد أني سأعود بعد ساعة، ربما ساعتين ستكونان بلاشك فرصة طيبة للتفكير بأمور بعيدة عن اليومي بل الحاضر كله. هي أمور ليست بالقليلة. لكني فشلت في اختيار أمر أو اثنين من الصنف البسيط الذي يوائم وضعي الآن. ثمة مخرج آخر: أن أدخل أول مكان يقدّم جعة مبرّدة. فكرة لا بأس بها ! منذ شهور لم أقترب من هذا الصنف (البريء) من الكحول. شارعنا طويل إلى حد مضجر، لكني واصلت السير. كنت أعرف جيدا بأنه يخلو في منطقته هذه من حانات أو مقاه تقدّم الجعة. انعطفت إلى شارع آخر. في أثناء البحث برد مائي الفوّار تماما، أي أنني قادر الآن على العودة إلى البيت خاصة أن هناك بضع علب جعة في المبردة لا هذه ليست بالفكرة الجيدة. فأخذ علبة من هناك وشغل أحد مقاعد غرفة الجلوس سيعني تحديا سافرا بل رغبة وقحة في إشعال شجار جديد. في الأخير دخلت إلى (غارديليا) الذي يقدّم الجعة. كان بارا من الدرجة الثالثة. العادية تطل برأسها من وراء نظافة نسبية. لكن ما شأني بهذه الحال، سأشرب قنينتي وأعود هادئا إلى البيت وأتظاهر بأنه لم يكن هناك أيّ شجار. اخترت جعة قوية نسبة الكحول فيها 12%، وهم يلّونون علب هذا النوع بالأسود أو آخر غامق. كان قراري بشربها موفقا جدا. فأعصابي بايخة وأصبحت الآن، أي بعد شرب علبتين، في حال نموذجية دفعتني من جديد إلى التفكير بأمور بعيدة عن الحاضر. طلبت علبة ثالثة. رجفة سرت في حين أنزلت يدي بعد الطلب، فقد خيّل لي أنها ليست يدي. وأخذ نسياني المزمن يستيقظ كي يمسح تاريخ هذه اليد. هكذا طمس اللعين آلافا وآلافا من أفعالها. جاءني النادل بالعلبة الثالثة. تسللت إلى رأسي فكرة غريبة: هل أنت متأكد من معرفتك بباقي أعضائك؟ ربما اليد الأخرى مجهولة؟ ربما الساقان؟ ربما الرأس بكامله؟ خبطت الهواء بيدي اليسرى بدل الإجابة على الأسئلة. اللااكتراث ليس غريبا عليّ. لكن ليس هنا وفي مثل هذه القضايا المهمة. فجسمي ملكي، وعلى الأقل، هو معي طيلة هذه السنين. صحيح أن اليد اليمنى تخضع لجهازي العصبي ولا تزال مطيعة لإرادتي، لكن مثل هذه الحقائق لم تغيّر بشيء واقع أنها ليست يدي. نعم، إنها يد أخرى رغم الشبه الكبير بين الاثنتين. كذلك فشلت في العثور على فارق ومهما كان بسيطا بينهما. هه، ما هذه الأفكار! طلبت قهوة سادة بعد أن كرعت الجعة الثالثة التي لا أشعر بأن نشوتها كبيرة وصارت تتمدد بفظاظة في خلاياي، وهذا معناه أنها ليست المذنب في غرابة يدي اليمنى. ربما هذه أولى الإشارات إلى أن طبيعية كل شيء في وحولي قد انتهت سلطتها. ربما سيأتيني وعي جديد بكل هذا الخارج. لا، لأكفّ عن سرحات كهذه، فهي لا تغيّر أيّ شيء في الخارج ولا في الداخل. هذه يدي وكفى. قبل ست سنوات فتحت سرحات شبيهة أمام إحسان بوابة الجنون الذي لم ينقذه أحد منه. لا الرب ولا عباده، لا الفلسفة التي كان مولعا بها ولا عائلته الحبيبة. أراد أن يعرف الكثير متجاهلا وضعه البشري المتواضع، ولو كان الله أمامه لسأله عن أسرار الحياة والعالم وأصل الإنسان الخ. شربت القهوة وطلبت أخرى. الحذر مطلوب طالما في نيتي العودة إلى البيت. ثلاث علب جعة قوية ستخونني أمام الزوجة. وهكذا أخذت أفكر بأفضل مناورة تضمن لي الهدوء حين أكون من جديد بين جدران البيت! مواصلة الزعل لا تفيد، الاعتذار لا يفيد أيضا. ولم الاعتذار، فالنسيان هو المذنب. الطريق إلى البيت ليس قصيرا، أكيد أني سأعثرعلى مناورة معقولة. بالطبع سوف لن أتكلم عن يدي اليمنى، فحينها سأفضح مسألة علب الجعة الثلاث و... القدحين الصغيرين من الفودكا. أكيد أن كل شيء، ومعه يدي اليمنى، سيكون طبيعيا في حياتي وكما كان.

في علم نفس العلاقات

ثورة في العقل أم ثورة في النقل

د. أسعد الأمارة

لعل هذا العنوان يثير في نفوس البعض ضغينة او وقفة تحتاج الى التأمل مع النفس ومع أفراد المجتمع ومكوناتهم واسلوب إدارتهم لشؤون حياتهم الخاصة أو طريقة تعاملهم مع بعضهم البعض والعلاقات القائمة بين بعضهم البعض وأسلوب حل النزاعات بينهم او اللجوء الى القانون كحاكم موضوعي فضلا عن العفوية في التخطيط الفردي الذاتي الى التعارض مع قوانين المجتمع، هنا أود ان انوه لهذه المقدمة انها تشمل ما يدور في الواقع العربي خصوصا، وواقع العالم الثالث بشكل عام، ولعل هذه المقدمة كانت البداية نحو محاولة لتوضيح مفهوم التطور، ومفهوم التجديد نحو اللحاق بالنمو في كل مجالات الحياة "الأسرية، الفردية، الاجتماعية، الإدارية، الصناعية.. الخ" لا سيما ان حياتنا تسير بخطى واسعة وقفزات سريعة في مجالات الحياة ، ولكن نحن نقف على الجانب الآخر لا نتفرج فقط ، بل ندير ظهورنا لما يجري ونلوم أنفسن.

لماذا

لا نكون نحن ضمن عجلة التطور في كل ميادين الحياة ابتداء من الثورة على النفس وغسلها، ثم التحول الى المجتمع وتغيير العلاقات الاجتماعية البالية ونبذ سطوة العشيرة أو القبيلة او صلة القربى بدون حق أو الاعتراف بالخطأ بدون خجل، او استبدال سلوك العشيرة والأسرة في معاملاتنا بأساليب الإدارة والمعمل وأحقية صاحب الحق في حقه بدلا من "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، لكي نعمل كما تعمل الامم التي سبقتنا ووصلت الى ما وصلت إليه من تطور وتقدم ونضج في العلاقات الخاصة والعامة !!

إننا بحاجة الى ثورة في العقل، تبدأ من النفس لكي تلغي كل أدرانها وما علقت بها من شوائب، ولسنا الى ثورة في النقل كما هو السائد اليوم في ميادين الحياة، ابتداء من موضة نقل الملابس الى التعلق بالجديد المنقول من الغرب أو من الشرق، حتى باتت دولنا لا تستطيع صنع إبرة خياطة، إلا واستوردتها، وهذه الأدوات ما هي إلا أبسط مكونات الحياة، فكيف اذن بالانتاج العقلي وما يثمر عنه من إبداعات في مجال الأدب والفن والصناعة والزراعة والعلوم وأخلاقيات احترام الانسان بما هو انسان وليس حقلا للتجارب السياسية، اننا ازاء معضلة قائمة احد أركانها الشعور بالعظمة والزهو الفارغ لدى البعض من يدعي العلم وهو لا يملكه، ويدعي الثقافة وهو افتر لها، ويدعي الكمال وهو مركز عقد النقص والشعور بالدونية وهي في الحقيقة خدعة من خلق العقل الناقص، ومن ثم قبول هذا العقل لحقيقة انني العالم وغيري جاهل، وهي مجهلة الذات بعينها .

يقول هيدجر اول ما ينبغي ان نذكره هو ان التحديد الأساسي للآنية هو الوجود - في - العالم. ذلك ان الوجود انما هو الانبثاق الى الخارج، الآنية اذن خارج ذاتها تتخطاها في سعي نحو امكانياتها، وقول"هيدجر" ايضا "ان الوجود في" انما هو وجود بما يفعل الانسان وبما ينجز، بشقائه وسعادته وبحاجته الملحة في الاهتمام بأمر من الأمور. فالاهتمام او الانشغال يؤلف شطرا من بنية الآنية، هذا الاهتمام ينتج عنه ابداع، والابداع هو الفطنة الى ما هو موجود ولكن لا يراه الآخرين، فكيف اذا كان الاهتمام بالذات ازداد اكثر من البحث عن الموجودات الأخرى، لذا فان الإنسان السوي هو من استطاع بحنكته ان يستظل بالمجهلة دون الانزلاق في شقاء الزهو الفارغ. ويعلم جميع من درس الإبداع انه لا إبداع مع الجوع، ولا ابداع مع الدكتاتورية والظلم، ولا إبداع من تمحور مع ذاته وفي ذاته وعدها مركز الكون، اذن اين تكون ثورة العقل في ظل هذه الفوضى ابتداءا من رؤية الفرد لذاته واحساسه بالعظمة وهو يمثل المجهلة بعينها او شؤون ادارة الناس واصدار الاحكام او القرارات المصيرية بدون رقيب او من يقول لا في كل شؤون الحياة ويعترض عليها بكل هدوء ويناقش الامور بعلمية ان انغماس الناس في الحصول على ابسط مستلزمات الحياة اليومية المعيشية يمنع حتما قدرتهم على الإبداع وإنتاج الجديد او متابعة شؤون حياتهم، فتنازلوا عنها للجاهل او المتسلط او الآمي الذي لبس الدين او المذهب او ركب السياسة كأسهل حل يكمل ما به من عقد ونقص ، فضلا عن الاضطراب الواضح لدى هؤلاء الأفراد ممن تبوأ المناصب وأصبح ذو شأن وقرار في التمييز بين الذاتي والموضوعي، لا يقتصر على الحياة العامة لديهم فحسب بل في مراكز إصدار القرار والبناء داخل اجهزة ومؤسسات الدولة ومصانعها، فالفرد المسؤول يحسب الفوائد والعوائد الشخصية لا المستقبلية للبلد او للمجتمع ، فتموت فكرة الدعم لثورة العقل، فيلجأ الى النقل لإرضاء

الأعلى في الإدارة. ويبين لنا التاريخ القريب ان الاكتشافات العلمية الجديدة حتى في القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر كانت تصدم بمعتقدات غير علمية وخرافية تنتجها جهات دينية متخلفة ترفض التطور والتكيف مع الجديد، وعلميا من حيث الناحية السيكولوجية على الاقل نرى ان التكيف التام يتناقض مع التطور، وان التطور المستمر قد يعوق التكيف كما عبر عنه الدكتور محمد شعلان، استاذ الطب النفسي، لذا يجب ان نتعلم الجمع بين الأضداد الذي يقتضي منا الجمع في القدرة على التكيف والتطور معا. وعلينا ان نبين للقارئ الكريم كيف ان الانسان او المجتمع بأكمله او حتى الكائنات الحية بصفة عامة كانت تحتاج على مر الزمان الى قدر من التكيف مع قدر من التطور.

ويقول علماء النفس ان التكيف التام يؤدي الى درجة من الجمود والملل، ربما تنتهي بالموت او تتساوى معه، ففي عالم الحيوان نستطيع ان نلاحظ كيف ان كل نوع وصل الى قمة درجة تكيفه فتوقف عن التطور، ولكنه نتيجة لهذا التوقف اصبح في حالة جمود جعلته لا يستطيع ان يجابه ظروفا جديدة في حالة حدوثها فيؤدي في النهاية الى انقراض النوع، كما هو الحال في بعض الحيوانات مثل الديناصور الذي وصل الى قمة التطور والنمو والقوة والحجم، فلم يقوى على الاستمرار في الحياة ويجابه الواقع وظروف التطور، وهنا نشاهد ان التكيف عندما يزيد عن حده ينقلب الى ضده فيصبح انعداما للتكيف، والحال ذاته على الانسان والشعوب والتكوينات الاجتماعية التي قبلت بالنقل وتكيفت معه، وكانه قمة التطور، ونست ان للعقل قدرات ان حيدت او وضعت على الرف، فأنه سيتحول بمرور الزمن الى جمود تام ان للعقل قدرات لا نهاية لها، فعندما ينجح الإنسان في استغلالها فأنه سيتحول بمرور الوقت الى الإبداع في كل شئ، لان العملية الإبداعية ليست أحادية بل انها شاملة لكل مناحي الحياة والحلول الإبداعية كما يقول علماء النفس تتميز بالأصالة والمرونة والحداثة، فمن يستطيع ان يضع حلولا غير مألوفة وقابلة للتطبيق وجديدة فان هذه الحلول هي حلول إبداعية ، فالتطور في قدرات العقل تشمل القدرة على التغيير والتجديد ودرجة من الرفض للواقع التي ربما تتحول الى درجة من عدم التكيف، وهذا يجعل الإنسان مختلفا تماما عن الحيوانات الاخرى المتكيفة، وكيف انه استطاع ان يحتفظ بهذه القدرات التي منحها له العقل واستخداماته في التغيير والتجديد والإبداعات المتنوعة، هذه الثورة في العقل جعلته اقدر على مجابهة الظروف البيئية والمتغيرات الجديدة وبالتالي على الامد الطويل ازدادت قدرته على التطور ويتنازل عن الكثير من ادوات التكيف التقليدية مثل الاظافر واستخدام الانياب والدروع، واستبدلها بأدوات اكثر تحضرا صنعها بنفسه وهي التحضر الاجتماعي والرقي ونبذ الادوات القديمة، وهذا نابع من ثورة في العقل، اما الاخرين الذين ابقوا ادوات التكيف القديمة مثل الاظافر والانياب وان استبدلوها بمعدات اخرى لكنهم ما زالوا يستخدمون انيابهم في نهش الآخر بفكره وبإبداعاته وقدرته على التجديد والتغيير السريع مع الاحتفاظ بإنسانيته.

اما على مستوى المجتمعات فنجد ان المجتمع وهو في حالة التجديد او التغيير الداخلي ربما يميل الى الانغلاق على ذاته، وينسحب من تحدي التكيف مع المجتمعات الاخرى كما يقول د. محمد شعلان فنشاهد كيف انه آبان الثورات تغلق الحدود وتتوقف الحروب الخارجية والغزوات الى ان تحدث التغييرات الداخلية المطلوبة فيعود الانفتاح على العالم الخارجي بعد الوصول الى درجة من الاستقرار، اذا استمرت الثورة في المجتمع بدون توقف زاد الامر عن حده ربما ينقلب ضده ويؤدي بالمجتمع الى التدهور والانهيار.

ان الاستبداد والتسلط الفكري على الفرد والمجتمع يلزم الجميع الخضوع والانصياع والاذعان لسلطة القوة اينا كانت، سلطة الدكتاتورية السياسية او الدينية او الحكم الاحادي وهذا يصادر عمل العقل مهما كان مبدعا، ولكن لا يستسلم العقل مهما كانت القيود والضغوط المفروضة عليه سواء من الحاكم او من التسلط الديني او الحزب الواحد. ومن تلك الامثلة ما اورده جاريد دياموند صاحب كتاب "البنادق والجراثيم والصلب" بقوله ان من الصحيح ان الاستبداد وما يترتب عليه من قمع للرأي وللمبادرة والتطور والتغيير يمكن ان يظهر في اي مكان في العالم على أسس ثورة في العقل وليس ثورة في النقل. فالثورة في البحث العلمي وحرية البحث والتقدم التكنولوجي والإبداع الفكري لا تقتصر على عوامل داخلية في المجتمع بقدر ما تقتصر على خمول في القدرات العقلية، حيث يحدثنا التاريخ قبل القرن الخامس عشر كيف غرست القيم البالية وتحديد العقل ومنع الذهن من الانطلاق في اوروبا، ولكن كيف شرع أصحاب ثورة العقل بالتغيير والتجديد والذي ابتدأها مارتن لوثر حينما عرض أطروحاته الخمس والتسعين ضد مبادئ الكنيسة وطغيانها، ليس فقط لأن من اليسر عليه الانطلاق بها جغرافيا، بل لأن تاريخ اوروبا خلق نوعا جديدا من الإنسان كما عبر عنه ريتشارد نيسبت في كتابه جغرافية الفكر، فأذن ثورة العقل تبدأ من الانسان الذي لا يرى بدا من رفض ثورة النقل التي لا تؤدي الى التطور والتغيير بقدر ما تؤدي الى التقليد، وهناك فروقا كبيرة بين ثورة النقل التي تمثل فكرا مقموعا بسبب سيطرة الفكر المتخلف ايا كانت مصادره،الدينية او السياسية او القبيلة او التسلط، وبين ثورة العقل المتمثلة بالفضول المعرفي والعادات الفكرية الجديدة.

وتؤكد هذه الوقائع حقائق نفسية مهمة وشواهد ميدانية بالادلة، وهي ان العوامل الاجتماعية - الاقتصادية يمكن ان تؤثر في العادات الادراكية، وهو ما درسه علماء النفس في دراساتهم التي ركزت على الاعتماد على المجال. وخلاصة قولنا ان نقارن بين الثورة في العقل والثورة في النقل بتشبيههما بالماء المنساب والمجرى، فالماء الذي ينساب وهو يمثل الحركة والتطور والتجديد بدون مجرى ينتهي به الامر الى التبخر والاختفاء قبل ان يصل الى هدف، واما اذا كان المجرى متحجرا وغير قابل للاتساع او الانعطاف عند اللزوم فانه يعوق سير الماء وينتهي به الأمر ايضا الى الفيضان والضياع او يتحول هذا الماء الى ماء راكد وعفن.

اننا نود ان نقول بان الثورة في العقل هي التي تتمثل في محاولات البحث عن طرق غير مألوفة لحل مشكلة جديدة او قديمة ويتطلب ذلك طلاقة الفكر ومرونته وأصالته وقدرته على تطوير حلول لاية مشكلة في الواقع وتفصيلها ودراستها بتوسع، اما عقل النقل فلا يمتلك اية صفة من صفات الابداع والتشعب والتفاعل الذهني بقدر ما مكلف بالأداء بدون اي تطور او تغيير. فالثورة في العقل ليست صفات وراثية او حكرا على فئات محددة من افراد المجتمع سواء من القادة او تابعيهم او رجال تخصصوا في علم معين او مهنة معينة، وانما هي بالدرجة الاولى كيفية القدرة لدى الفرد من التحرر من الخوف والتهديد عند التعامل مع المشكلات الحياتية الجادة، والخوف من التردد لكي يتم الوصول الى الافكار الجديدة حتى وان تعارضت مع قيود المجتمع.

يعلم جميع من درس الإبداع أنه لا أبداع مع الديكتاتورية

ناصر قوطي.. يسقط «وهم الطائر..»

ليس هناك من يولد حراً

يوسف علوان

"الكتابة عزاء، وربما هي سلاح ضد الموت، وتساؤل وجودي عن ماهية وجودنا، وتفريغ شحنات كهربية، نفرغها من وطيس الذهن لكي لاتحرقنا وتحيلنا رماداً وفي ذات الوقت هي لذة لاتضاهيها لذة. النتاج الفني والأدبي حالة معقدة تحتكم الى عدة اشتراطات، ولايستثنى دور اللاوعي في النتاج الأدبي والفني . ولكن تبقى كل التفسيرات عاجزة عن ادراك مغزى الكتابة الابداعية وجدوى التعاطي معها".

هكذا يصف الكاتب ناصر قوطي الكتابة بالنسبة له، وأنت تجد هذا كله في مجموعته القصصية التي صدرت عن دار ميزبوتوميا للطباعة والنشر بعنوان "وهم الطائر" وبـ(102) صفحة من الحجم المتوسط، وقد ضمت المجموعة (14) قصة قصيرة و(7) قصص قصيرة جدا، ولكون القصة القصيرة تتميز عن الرواية بما يخلقه التكثيف والترميز الذي تتطلبه، بسبب حجمها، من اشباعات دلالية لدى المتلقي، ولذلك تكثف المعاني عبر فضاءات سردية متعددة، كالأمكنة والأزمنة، والأحداث والأشخاص، وما تنطوي عليه من أبعاد درامية مشحونة بالتوتر والقلق والاحباط. ولم تصل القصة القصيرة هذه المكانة، إلا عندما اقترن حكيها بالوعي الحاد الذي ينخرط فيه الإنسان، احتجاجا على واقع تملؤه أزمات حادة في شكله ومضمونه، كما يعود الاهتمام بها، لما تتميز به من تصوير لسرعة الإيقاع في الحياة العادية، الذي نعتبره من أكثر الإيقاعات انسجاما مع طبيعة العصر الحالي، وتمثيل شخصياتها للواقع المعاش والمتخيل، فنجد الشخصيات التي تحدث عنها القوطي سواء التي استمدها القاص من التجارب الحياتية الخاصة، أو التي من عالم الخيال: مأزومة ومغرقة في القلق والضياع وتبحث عن منفذ للخروج من واقعها الذي فرض عليها، ويتضح ذلك في قصته المعنونة "جدار..." إذ يصور حالة الصراع الداخلي الذي يعيشه شخص تهيئه تربيته للعمل على تفخيخ نفسه لتفجيرها بين الناس غير ان دايلوجاً داخليا يدور بينه وبين نفسه؛ "كيف ساقتك الظنون وأقنعتك تلك الفتاوى الجهنمية التي غرسها أبوك في وجدانك،...." ص 83 ان أكثر الأشياء خطورة تلك التي يرثها الأبناء عن الآباء، دون ان تعطى لهم فرصة الاختيار، لكي يناقشوها مع أنفسهم، في قبولها او رفضها. غير ان هذا التساؤل الذي يطرحه القاص ينقلب الى صراع لرفض ما أجبرت عليه الشخصية في هذه القصة: "ان تسألهم لم اختاروا الفناء بهذه الطريقة التي تأنف منها اخلاقيات عصور ما قبل التاريخ.... كيف طاوعتك نفسك ان تفارق الجانب المشرق من الوجود وتعانق الظلمة وتنصت لعواء الذئب فيك." ص84.

وقد أجاد القوطي تصوير هذا الصراع الداخلي للذات، وهو صراع شاق ومؤلم، لان على هذا الشخص ان ينقلب على افكار تلبسته منذ طفولته. فالانسان يولد؛ ليجد ان دينه وافكاره وقيمه التي سيعتنقها ولدت قبله، لذلك يكون غير مختار لهذه الافكار التي يبقى يحملها طول حياته، وعندما يتمرد عليها، إذ ذاك، ليس ببعيد أن يصفه الآخرون بالمجنون او الشاذ!

"- من حولك الى مسخ..!

- انت تعرف، لم تسأل؟ خلصني ان استطعت..

- سأفعل، و.."

فليس سهلا التمرد على مسلمات قومه، انه صراع يبدأ داخل ذاته، يمنعه خوفه ممن حوله، ومن البوح بهذا الرفض، لكل ماهو غير صحيح برأيه!! لكنه اليقين بالنسبة لهم .. فكيف الخروج عليه؟ أنها محنة النبي في قومه فسيلقمونه بالحجر بكل تأكيد!: "حضرت الصحراء ثانية، ماذا أرى، همست بحيرة، تحركت ساقي المتصلبة والمسمرة من حول المشهد! حين غمرت الرمال وجه المدينة، والفسحة التي كنت اقف عليها، تقدمت صرخت صرخات متتالية، وقبل ان اقترب منه راح يتطوى، ويتلوى، تصاحبه عواءات طويلة وهو يحاول الخروج من جسدي، كان لسانه اللاهث يتحسس أثر الدماء في حبيبات الغبار، حين ذاك اندفع من صدري تركني خائراً، بعد ان تجسد امامي بكل هيأته، هيئة ذئب اغبر بأنياب يسيل بينها لعاب اصفر،... غير انني احسست بخفة ورشاقة جسدي حين خروجه مني،...

اعرف من غرس بذرتك فيّ.. اعرف.."

ان قصة "جدار.." تصوير رائع لمسببات ما نعيشه من مآس وقتل وتفجير يودي يومياً بحياة العشرات بل المئات من الناس الذين ليس بينهم من عداء مقنع سوى "حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا". وهنا يؤكد القوطي؛ ليس من الصحيح القول ان الانسان يولد حراً، بل الحقيقة أن الانسان يولد وهو مكبل بأفكار ومعتقدات وأخطاء وخطايا من سبقوه ومطالب بأن يسير على خطاهم.

وقد سعى القاص في تحميل اللغة سياقات لغوية حادة، لخرق المتعارف عليه في تركيبة القصة القصيرة، حيث لم يعد للعقدة او الصراع من معنى ولم نجد في الكثير من قصصه حلاً لما يطرحه من تساؤلات كما في قصة (ترنيمة قديس).. "حضارتنا لم تعط الإنسان حتى أبسط الحقوق بل تسحقه بشروطها القمعية المريعة، والكلام يطول يا صاحبي.. الكلام.. يطول". ص50.. ليس هناك سوى الخيبة فلا منفعة من كلام في هذا الأمر رغم ان اول قوانين العالم التي سنت في بلدنا قبل آلاف السنين لم تغير عقول طغاتنا ونظرتهم للإنسان.

كذلك في قصة "ما حدث مع أقرب الناس..." ففي نهايتها يصل القاص الى خيبة أمل أخرى من جدوى الكتابة حيث يقول: "الكتابة هوّس، هروب من عالم وحشي نحو بياضات آسرة لا قصدية، تتصاعد من فوهاتها حمم من أخيلة لا يعرفها إلا من أكتوى بنيرانها، ولا خيار أمام من يتعاطاها.. فأما أن يكتب نفسه او يقتل نفسه، وفي الحالتين يكون قد ارتكب إثم الفعل والمكاشفة في عالم يحدث فيه كل شيء بعيدا عن هذه السطور البريئة التي لا تعني شيئاً" ص81. وقد حاول القاص الرهان على اللغة وإمكاناتها التدليلية، والعمل على فتح آفاق سردية مغايرة لانتاج نص مختلف تكون فيه ذات القاص محوراً للمعاني، كذلك ذوبان لغة القاص في ذاته.

في قصة "وهم الطائر.." ص 87 التي سميت المجموعة بها يبدأها القاص باقتباس لابي حيان التوحيدي: "رحلٌ ضعيف، وهاجرة محرقة، وبرٌ قفرٌ، وعطش قديم، كيف الوصول الى الري والحال هذه.." ثم إهداء الى الشاعر سلام الناصر، مصحوباً بتساؤل: "لمَ لا تطير؟"، في الموروث الشعبي يرمز الطائر الَى الحرية والانطلاق نحو ما تصبو اليه الأنفس، وهذا الرمز "الطائر" كثيرا ما يتمنى المرء ان يكون مثله، له القدرة على التنقل من مكان الى آخر، وهذه الأمنية؛ الطيران/ التنقل تراود المرء الذي لا يستطيع ان يتعايش مع ظروفه الشخصية التي تحيط به. لذلك تراه ينظر لقدرة الطائر على ترك المكان الذي يعيش فيه بسهولة ويسر. لهذا يرمز للطير بالحرية التي نفتقدها في حياتنا اليومية.

في هذه القصة يلجأ القاص لتكثيف الصورة الصغيرة المتتالية لاظهار الصورة الكبيرة التي يصف بها ما حوله، ويبدو ان هذا التكثيف في التفاصيل الصغيرة قد عبر الكاتب عن اعجابه بأسلوب (ابو حيان التوحيدي) في طريقة الوصف هذه؛ "أن تغدو جثة لا أكثر تألفك الديدان، تكفنك ذرات الغبار، تعرش فوق جبينك والعيون لتستحيل شيئاً صلدا لا يُقهر يتمحور بين الجناحين، مسخاً صغيراً تكور بين الكتفين، شوه عنده وأسقط إثر ولادات عسيرة وخذلان من طلق مستمر.. تحاول ان تجسه بحذر، تمرُ أناملك فوق التجاعيد الغائرة، عند الشفتين تلمس ظل ابتسامة فاترة كأنها تهمس اليك أن تصرخ، أن تنعب كطائر ليلي وحيد.. شلواً هامداً رغم كل هذا الخفقان المضني ولا جدوى هذه التحليقات المتصاعدة البلهاء".

إذا صورة الاحباط التي رسمها الكاتب؛ والتي تكونت من هذا العدد الكبير من الصور الصغيرة تعبر عن "وهم" الحرية الذي نرمز به للطير. لذلك جاء التساؤل الذي طرحه الكاتب في إهدائه الى صديقه الشاعر سلام الناصر "لمَ لا تطير؟" محبطاً يائساً لكنه تساؤل ليس إلا: "ما الطيران في مثل هذه السماء إلا محض هبوط نحو الهاوية!". ص 96. ان عملية الخلق الأدبي يسهم فيها المتلقي، من خلال جمع الصور المتعددة التي يحملها النص ومن ثم ترتيبها وحتى تخيلها.. وهذه مساهمة في عملية الخلق التي يصورها الكاتب في نصه القصصي.

رواية "قشور الباذنجان"

عندما يشترك الضحية والجلاد في اللعبة

الرواية لا تتحدث عن الكاتب مباشرة وانما بأشياء

فاضل ثامر

رواية عبد الستار ناصر الموسومة بـ " قشور الباذنجان" (1) الصادرة عام 2007 شهادة شخصية مهمة عن تجربة دامية عاشها المؤلف عندما أعتقل في سبعينيات القرن الماضي من قبل سلطات الامن و المخابرات للنظام الدكتاتوري في العهد السابق، حيث أمضى شهوراً طويلة تعرض فيها الى شتى صنوف التعذيب والارهاب دفعته لاحقاً لاتخاذ قرار شخصي بالهجرة خارج العراق هرباً من الاضطهاد و سياسة كتم الانفاس.

لكن تتحدث، عبر قناع خاص، عن شاب إسمه ياسرعبد الواحد يعمل نجاراً في مجال الاعمال الحرة ويمتلك مستوىً ثقافياً محدوداً. و لذا فان ضمير المتكلم "أنا" في الرواية هوصوت قناع المؤلف أو ذاته الثانية الذي يروي الاحداث الروائية بطريقة السرد الاوتوبيوغرافي، ويكاد هذا الصوت أن يكون هو الصوت المهيمن لولا حضور اصوات مشاركة في الرواية منها صوت اخته (سلافة) وصديقه (حيران) وزوجته (أنيسة) فضلاً عن صوت دوهان البيجات ومخطوطته، هذا الصوت الذي ينبعث من الماضي، ليحفر عميقاً في ذاكرة البطل وذاكرة العراقيين:

"جاء قبل التاسع من نيسان 2003 بسبعة شهور، وقف عند عتبة البيت وهو يكرر قولاً لم أفهمه :

ـ أنا اسف على ما فعلته بك.. أريدك أن تسامحني.." (2)

هذا الاستهلال موفق الى حدٍ كبير، ذلك إنه يثير لوناً من الاثارة والتشويق والغموض. فمن ذا الذي يطلب منه الصفح والمغفرة. وهكذا تروح تتكشف الاحداث والاسرار، ويطل الماضي المرير المنسي ثانية:

"ـ اعرف انك ياسر عبد الواحد، و أعرف كم يوماً حجروك هناك في العتمة، اعرف كم مرة عذّبوك." (3)

فجأة إستعاد البطل في لحظة واحدة، الكابوس الذي خيم عليه قبل عشرين سنة مضت، وادرك دلالة هذا الاقتران العجيب بين صوت الغراب المفاجيء الذي يأتي من سطح جاره وصوت هذا الطارق الغريب:

"قبل عشرين سنة، تكرر الامر معي، اتهموني لا أعرفها، كنت أجلس في مقهى السمر، قرب شلة من أصدقاء أعرفهم منذ طفولتي، كبسونا ونحن نضحك ونشرب الشاي. ما كنت أعرف أن الضحك ممنوع في المقاهي." وتذكرالآن. التهمة كانت جاهزة، ولم يصدق الاتهامات التي تنهال عيه:

"ـ انت ما زلت صغيراًعلى السياسة. من ورطك في هذا الحزب العفن؟..

والله لوكان إبني شيوعياً لذبحته من الوريد الى الوريد." (5)

ولاول مرة يعرّي المؤلف معاناته التي صمت عنها طويلاً، بل انه ايضاً عرّى معاناة صديقه حيران الذي كان أديباً بسيطاً في اتحاد الادباء، ومحنته عندما أختطفه الارهابيون و أغتصبوه و أذلوه مما دفعه ذلك الى الانتحار. ويمكن أن نلاحظ أن عبد الستار ناصر قد وزع تجربته الذاتية والشخصية بين بطل الرواية النجار الشاب ياسر عبد الواحد الذي أعتقل قبل عشرين سنة وصديقه حيران، الاديب الشاب الذي تعرض للاختطاف والاغتصاب. وبذا فالرواية تتحول الى عملية إدانة قوية وصريحة لارهاب الدولة الدكتاتورية وعنفها ضد الفرد العراقي ومثقفيه وقواه السياسية.

ويتحرك زمن الرواية السردية من نقطة قريبة من النهاية، اذ تبدأ الرواية قبيل التاسع من نيسان 2003، أي قبيل الاحتلال وسقوط النظام الدكتاتوري، لكنها تعود بالزمن عشرين سنة مضت وربما اكثر لتستحضر اللحظة التي أعتقل فيها البطل والتقى فيها بهذا الزائر الغريب- دوهان البيجات- الذي كان اكثر المحققين قسوة وعنفاً معه ومع الآخرين، فقد كان سادياً ودموياً يتلذذ بعذابات ضحاياه وقتلهم أحياناً كما اعترف مؤخراً لياسر عبد الواحد:

"البعض منهم مات تحت يدي."(6)

و اذا ما كانت الرواية تعدّ كشفاً لمعاناة بطلها ياسر عبد الواحد، والى حد ما معاناة صديقه حيران، فهي في الوقت ذاته تشريح لشخصية الجلاد والمحقق الدموي دوهان البيجات الذي يستيقظ فجأة و يطلب المغفرة من ضحيته ياسر عبد الواحد ويكشف عن سلوكه الاجرامي أثناء التحقيق وتربيته الاسرية والاجتماعية، من خلال وثيقة خطية مكتوبة في دفتر صغير سلمه الى ياسر عبد الواحد ليطلع عليه. كانت المخطوطة تمثل إعترافاً صريحاً بجرائم خطيرة ارتكبها ضد الانسانية وضد أبرياء سقطوا ضحايا بين يديه. وكانت المخطوطة تمثل إنعطافاً كبيراً في مسار البنية السردية نقلها من احادية منظور البطل ياسر عبد الواحد الى فضاء السرد البوليفوني التعددي، كما أن هذه المخطوطة جعلت الرواية تنضوي تحت باب المبنى الميتاسردي في الرواية العربية، لكن أهم و أخطر ما منح رواية " قشور الباذنجان" هوية الجوهر الميتاسردي يتمثل في ضربة سردية موفقة إعتمدها المؤلف في نهاية الرواية، وفي صفحتها الاخيرة تحديداً عندما فاجأ القارىء باعتراف بطله ياسر عبد الواحد انه قررأن يدون معاناته ـ ومن خلالها معاناة الشعب العراقي بكامله- في عمل روائي:

"لكنني، فجأة قررت أن أجرب الكتابة، وعندي من الذكريات ما سوف يسعفني في كتابة ما جرى." (7)

تظل المفاجأة الميتاسردية الكبرى تتمثل في أن ياسر عبد الواحد عندما أخذ حزمة أوراق بيض وبدأ يكتب سطورها الاولى:

"جاءني قبل التاسع من نيسان 2003 بسبع شهور، وقف عند عتبة البيت وهويكرر قولاً لم أفهمه." (8)

نكتشف فجأة، في ومضة خاطفة وبارعة أن الرواية التي كان ينوي ياسر عبد الواحد كتابتها، هي بالذات رواية "قشور الاذنجان"، وهو ما يجعل من الرواية تزهو بانتمائها الى اللعبة الميتاسردية، بما فيها من قصد الى فعل الكتابة وانطوائها على مخطوطة سردية فرعية.

لقد كان ياسر عبد الواحد يكرر اكثر من مرة بأن الحياة في العراق في ظل النظام الدكتاتوري،والى حد ما في ظل النظام الجديد، وخاصة بسبب استفحال أعمال العنف والقتل والارهاب والصراع الطائفي قد أصبحت شبيهة بقشور الباذنجان.

"الحياة صارت قشرة باذنجان." (8)

ولكي يحدد البطل دلالة هذا التوظيف الرمزي زمنياً يعود بذاكرته إلى زمن النظام الدكتاتوري وتحديداً قبيل عشرين سنة عندما أصبحت الحياة رخيصة ومستباحة ولا قيمة لها:

"منذ عشرين سنة والحياة سوداء، رخيصة، تلفانة، تماماً مثل قشور الباذنجان يدوس عليها الحمير والكلاب والقطط السائبة." (9)

ومن هنا تكتسب العنونة "قشور الباذنجان" بوصفها عتبة نصية دلالية و سيميائية مضيئة أهمية خاصة للتدليل على مدى التدهور الذي أصاب الحياة المدنية والحريات الشخصية في ظل الانظمة الشمولية والقمعية أو تحت مطرقة الارهاب والعنف الطائفي وسندان الاحتلال وضعف مؤسسات الدولة الجديدة.

لكننا يجب أن نعترف أن الرواية لم تقف موقفاً سلبياً او محايداً من الاحداث التي تدور في العراق قبل الاحتلال وبعده. فقد كانت صريحة في ادانة مرحلة الهيمنة الدكتاتورية في العهد السابق، وشجبت مظاهر العنف والارهاب والتقتيل والترهيب التي يتعرض لها المواطنون الابرياء، بل أن البطل في النهاية قرر اتخاذ جرىء بالعودة الى بغداد لمواصلة حياته بعيداً عن المنفى على الرغم من معرفته بحجم التحديات والمخاطر التي قد تواجهه، بل إنه يطالب بحقوق الضحايا ومعاقبة المجرمين:

"هل يأتي اليوم الذي نراهم فيه تحت سقف القانون وهم في دور مختلف عما كانوا عليه؟ أما ينبغي تحقيق العدالة كما أرادها الله؟" (10)، كما نراه يحتج لان ازلام النظام يسرحون ويمرحون دونما عقاب:

"ها هم أحفاده و أزلامه و حاشيته يسرحون ويمرحون ويرقصون خارج صومعة القانون، تراهم في دمشق وعمان والقاهرة في أجمل القصور."(11)

ولذا فالرواية هي دعوة لتحقيق العدالة وانصاف المظلومين الذين إضطهدهم أو قتلهم جلاوزة النظام الاستبدادي، وهي مدونة صادقة عن مرحلة صعبة وقاسية مرّ بها العراق وشعبه. و الرواية لا تفعل ذلك بطريقة مباشرة أو ملفقة بل هي تستنطق الوقائع الحية وتجسدها، أحياناً ببرود وبكثير من الحياد والموضوعية، لكن الوقائع ذاتها هي التي تنطق وتصرخ وتذرف دموعا حزينة.

بنية الرواية، كما لاحظنا تعتمد على لعبة ميتاسردية ماكرة، لا تخلو من بعض عناصر القص البوليسي القائم على التوتر، وعلى الرغبة في الكشف عن المجهول والغامض، ويتم فيها السرد من خلال سلسلة من المونولوغات الداخلية المبؤرة التي يقدمها لنا بطل الرواية ياسر عبد الواحد،حيث يتحرك الزمن بين الحاضر والماضي وبين الماضي والحاضر. نقطة البدء في الفعل الروائي تعود الى حاضر حي يسبق عام 2003 بقليل، لكن هذا اللقاء المفاجيء بالزائر الغريب يعيد الاحداث الروائية عشرين عاماً الى الوراء حيث يطل الماضي بكل حضوره ليدون بمرارة سنوات القمع والتعذيب و الاهانة التي تعرض لها البطل في أقبية التعذيب تحت إشراف المحققين ومنهم زائره الغريب (دوهان البيجات).

لكن الروائي لا يمكث عند عتبة الماضي بل يظل يقظاً في الحاضر وهو يستحضر لحظات حياته ومحطاتها المؤلمة، ويتحرك الزمن الى ما بعد 9 نيسان 2003، حيث يسقط النظام الدكتاتوري،لكن ودخول الاحتلال و انهيار مؤسسات الدولة يؤدي الى محنة مأساوية كبيرة:

" يزداد البلد رعباً، صارت مذابح البشر أكثر مما يذبح من خرفان،ترى الجثث صباح كل يوم على المزابل وفي نهر دجلة وقرب المساجد، مقطوعة الرقاب او محترقة.. قتل عشوائي لا يفرق بين صغير أوكبير.." (12)

ويخيل لي أن البطل ياسر عبد الواحد بدأ يفكر بضرورة " التدريب على البقاء حياً" ولانه لم يجد أنيساً يساعده على إحتمال المسافة صوب الموت (14) قرر أن يجد ملاذه في الكتابة، تماماً مثلما وجدت شهرزاد ملاذاً في السرد والحكي،سلاحاً تشهره في وجه الموت. وهكذا شرع يدون تجربة حياته المريرة التي كانت ثمرتها هذه الرواية – الشهادة- "قشور الباذنجان"، وبذا فتحت الطريق أمام عملية تماه بين البطل، الراوي و مؤلف الرواية، ولكنها عملية إندماج تلقائية وعفوية الى حد كبير، مع انها فنياً تم عن سابق تصميم وقصد استلزمتها اللعبة الميتاسردية ذاتها ومنحت السرد الروائي نسقاً دائرياً حيث تعود النهاية مرة اخرى الى نقطة البداية في عملية تحبيك مدروسة ومحاكرة، جعلت البداية والنهاية مترابطتان فنياً وجمالياً من خلال السرد.في هذه الرواية حاول الروائي أن يثأر لنفسه ولشعبه بعد أن أدرك أن " قانون العين بالعين" لم يتحقق بعد:

"اين ارادة الخالق في السن بالسن، اذا كان كبار الطغاة و القصابين ما زالوا يتمتعون بأسنان بيض يغسلونها صباحاً وليلاً بأفضل معجونات الاسنان." (8)

الرواية تتحول إلى عملية إدانة صريحة لارهاب الدولة

الهوامش:

1. ناصر، عبدالستار، "قشور الباذنجان"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،عمان،2007.
2. المصدر السابق،ص9.
3. المصدر السابق، ص9.
4. المصدر السابق،ص 84.
5. المصدرالسابق، ص85.
6. المصدر السابق،ص16.
7. المصدر السابق، ص217.
8. المصدر السابق، ص43.
9. المصدر السابق،ص86.
10. المصدر السابق، ص200
11. المصدر السابق، ص 201
12. المصدر السابق، ص 210-209
13. المصدر السابق، ص 215
14. المصدر السابق،ص216
15. المصدر السابق،ص200

الكاتب الأورغوياني إدواردو غاليانو

السرد الروائي فن تخييلي وسيلته اللغة

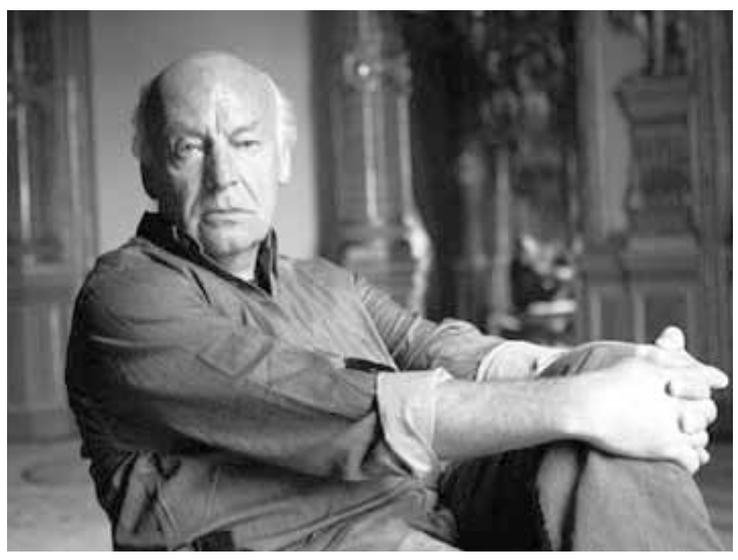

ترجمة : نجاح الجبيلي

إنه الأمر نفسه في أغلب الصباحات. على مائدة الفطور فإن الكاتب الأرغوياني إدواردو غاليانو 72 سنة وزوجته هلينا فياغرا يناقشان أحلامهما في الليلة السابقة. يقول غاليانو:" أحلامي دائماً حمقاء. عادة لا أتذكرها وحين أتذكرها تدور حول أمور سخيفة مثل الطائرات المفقودة والمشاكل البيروقراطية. لكنّ لزوجتي أحلاماً سعيدة".

في إحدى الليالي حلمت بأننا كنا في المطار إذ كان المسافرون جميعاً يحملون الوسائد التي ناموا عليها في الليلة السابقة. قبل أن يركبوا على متن الطائرة فإن السلطات الرسمية سوف تضع وسائدهم في ماكنة تستخلص أحلامهم في الليلة السابقة وتتأكد انه ليس هناك أمر مخرباً فيها.

حين أخبرته بذلك شعر بالارتباك حول عقوبته الخاصة. "إنه أمرا مخجل حقاً".

ليس هناك الكثير من السحر في واقعية غاليانو. لا يوجد شيء مخجل فيها أيضاً. هذا الكاتب المتحول من الصحافة في السبعين أصبح الشاعر المتوج لحركة ضد العولمة عن طريق إضافته الصوت الشعري الوجيز إلى اللارواية. حين ضغط الراحل هوغو شافيز بنسخة من كتاب غاليانو الصادر عام 1971 بعنوان" العروق المفتوحة لأمريكا اللاتينية: خمسة قرون من نهب القارة" في يد باراك أوباما أمام الصحافة العالمية عام 2009 فإن الكتاب قفز من المرتبة 54295 في موقع الأمازون الإلكتروني الخاص ببيع الكتب إلى المرتبة الثانية في ذلك اليوم. وقد هتف الناس المزدحمون حين أعلنت أروندهاتي روي في آذار عن زيارة وشيكة يقوم بها غاليانو إلى شيكاغو. وحين جاء غاليانو في أيار بيعت كتبه كما هي العادة في أغلب جولاته.

صرح للصحيفة الإسبانية "أل بايسس" مؤخراً قائلاً "هناك تقليد يرى في الصحافة الجانب الأسود للأدب، وذروته هو تأليف الكتب". ويضيف:" لا أتفق مع ذلك. أعتقد بأنّ كل الأعمال المكتوبة تؤلف الأدب حتى الغرافيتي. لقد كتبت الكتب لعدة سنوات لكني تمرنت كصحفي وما زالت البصمة فيّ. أنا أقرّ بالجميل للصحافة إذ أيقظتني على حقائق العالم".

تظهر هذه الحقائق موحشة. يقول:" هذا العالم ليس ديمقراطياً مطلقاً. المؤسسات الفاعلة، صندوق النقد الدولي والبنك الدولي تنتمي إلى ثلاثة أو أربعة بلدان. والأخرى تراقب. فالعالم ينظمه اقتصاد الحرب وثقافة الحرب".

ومع ذلك فلا شيء هناك في أعمال غاليانو أو سلوكه ينم عن اليأس أو حتى الميلانخوليا. وحين كان في إسبانيا في اضطرابات الشباب في "أنديغوندوس" قبل سنتين التقى بالمحتجين الشباب في بيرتا دل سول في مدريد. وقد حيّا التظاهرات. "هؤلاء شباب آمنوا بما هم فاعلون. من غير السهل العثور على ذلك في الحقول السياسية. أنا اعترف بالجميل لهم".

أحدهم سألني كم المدة التي يستمر فيها الصراع. ردّ غاليانو:" لا تقلق. إنه يشبه ممارسة الحرب. إنه لانهائي بينما هو حي. لا يهم إن كان يستمر لمدة دقيقة. لأنه في لحظة يحدث، دقيقة يمكن أن تشبه أكثر من سنة واحدة".

يتكلم غاليانو كثيراً مثل هذا- لا في الألغاز بالضبط، بشكل مبهم وعابث، مستخدماً الزمن كونه سيف المبارزة. حينما سألته إن كان متفائلاً بشأن حالة العالم أجاب:" يعتمد على سؤالك لي خلال النهار. من الساعة الثامنة صباحاً حتى الظهر أنا متشائم. ثم من الساعة الواحدة حتى الرابعة أشعر بالتفاؤل". التقيته في بهو الفندق في قلب مدينة شيكاغو الساعة الخامسة بعد الظهر وهو يجلس مع زجاجة كبيرة من النبيذ ويبدو في منتهى السعادة.

رؤيته عن العالم غير معقدة- المصالح العسكرية والاقتصادية تحطم العالم، تجميع القوة المتصاعدة في أيدي الأغنياء وسحق الفقراء. بافتراض المسح التاريخي الواسع لأعماله فإن الأمثلة من القرن الخامس عشر وما بعده هو أمر اعتيادي. إنه يفهم الموقف الحاضر لا كتطور جديد بل سلسلة متصلة على كوكب مطعون بشكل دائم بالهزيمة والمقاومة.

ومع أنه ناقد شديد لسياسة أوباما الخارجية وعاش في المنفى لمدة أكثر من عقد أثناء السبعينات والثمانينات ومع ذلك فهو يتمتع بالأصداء الرمزية لانتخاب أوباما ببضع تلميحات قائلاً:" كنت في غاية السعادة حين جرى انتخابه لأن هذه البلد ذات تقليد ناضج في العنصرية". فهو يحكي قصة كيف أن البنتاغون في عام 1942 أمرَ بأنه غير مسموح نقل دم السود إلى البيض. "في التاريخ ذلك لا يعني شيئاً. فسبعون سنة تشبه دقيقة. لذا فإن نصر أوباما هذا يستحق الاحتفال".

كل تلك الصفات- الملغز والعابث والتاريخي والواقعي- تمتزج في كتابه الأخير "أطفال الأيام" الذي يصنع فيه صورة قلمية تاريخية موجزة لكل يوم من السنة. والهدف هو الكشف عن لحظات من الماضي بينما يضعها في سياق الحاضر، متردداً في القرون كي يصور السيناريوهات. ما حققه هو نوع من الحفر التاريخي وهو يؤصل القصص التي جرى فقدانها وأسيء استعمالها ويقدمها بكل مجدها ورعبها أو لامعقوليتها التامة.

إن تدوينه في 1 تموز مثلاً بعنوان: "أقل من إرهابي" يقرأ:" في عام 2008 قررت حكومة الولايات المتحدة أن يمسح اسم نلسون مانديلا من قائمتها في الإرهابيين الخطرين. الأفريقي الأكثر توقيراً في العالم كان قد وضع في تلك القائمة الشريرة لمدة ستين سنة". وسماه "اكتشاف 12 أكتوبر". " في عام 1429 اكتشف السكان الأصليون بأنهم هنود حمر واكتشفوا أنهم عاشوا في أميركا".

في الوقت نفسه يدعى 10 كانون الأول(ديسمبر) "الحرب المقدسة" ومهداة إلى تسلم أوباما جائزة نوبل حين قال أوباما هناك "ستأتي أوقات ستجد الأمم أن استعمال القوة لا ضروري فحسب بل مبرر أخلاقيا" فكتب غاليانو:" قبل أربعة قرون ونصف وحين لم تكن جائزة نوبل موجودة والشرّ كامن في بلدان لا يوجد فيها نفط بل ذهب وفضة، فإن القاضي الإسباني خوان جينس دو سبلفيدا دافع أيضاً عن الحرب كونها "ليست ضرورية فحسب بل أيضا مبررة أخلاقياً". لذا فهو ينتقل من الماضي إلى الحاضر ثم يعود خالقاً ارتباطات مع الظرف الساخر الناقد. يقول مصرّاً أن رغبته هو أن يجدد ما يسميه " قوس قزح الإنسانية الأكثر جمالاً من قوس قزح السماء. لكن عسكريتنا ورجولتنا وعنصريتنا كلها أعمتنا عنها. ثمة العديد من الطرق في أن تصبح أعمى. نحن عميان بالنسبة للأشياء الصغيرة والناس الصغار".

ويؤمن أن المسار المحتمل في أن نصبح عميان هو لا فقداننا البصر بل الذاكرة. يقول:" خشيتي الكبيرة أننا كلنا نعاني من فقدان الذاكرة. كتبت كي أعيد ذاكرة قوس قزح الإنسانية الذي هو في خطر أن يصبح أبتر".

وكمثال يصف روبرت كارتر الثالث – الذي لم أسمع به- الذي كان الأول من بين الآباء المؤسسين في أمريكا الذي يحرر عبيده:" بسبب ارتكابه هذه الخطيئة التي لا تغفر حكم عليه التاريخ بالنسيان".

سألته من هو المسؤول عن هذا النسيان؟ فأوضح قائلاً:" المسؤول ليس شخصاً بل نظاما من السلطة دائماً يقرر باسم الإنسانية من يستحق التذكر ومن يستحق أن ينسى.. إننا خلاف ما يجري إخبارنا. إننا أكثر جمالاً".

شمران الياسري "أبو كاطع" في روح وذاكرة المبدعين

مناضل سبق زمنه بوعيه الثاقب

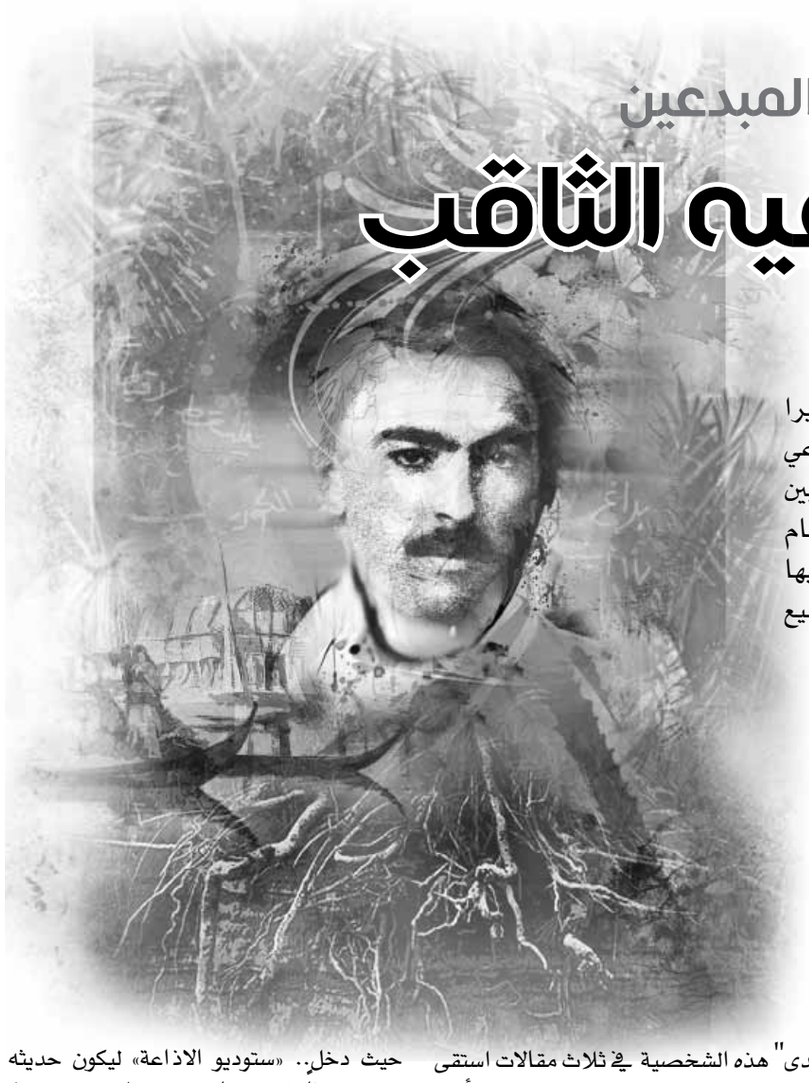

يمثل أبو كاطع مرحلة وانعطافة مهمة في تاريخ العراق المعاصر، فهو كاتب، وصحفي، وإذاعي. عمل مديرا لتحريرمجلة "الثقافة الجديدة" ذات التوجه اليساري التقدمي. كما عمل محرراً في صحف الحزب الشيوعي العراقي ومنها جريدة "طريق الشعب". شمران الياسري شخصية عراقية ذاع صيتها واتسعت شهرتها مابين العام 1953 وحتى وفاته في براغ إثر حادث دبرته المخابرات العراقية في السابع عشر من آب أغسطس من العام 1981. وعرف العراقيون تلك الشخصية الثقافية والادبية من خلال البرنامج الإذاعي، ذائع الصيت "احجيها بصراحة يا بو كاطع" الذي كان يعده ويقدمه شمران نفسه حتى شاع اسمه بين مختلف الأوساط، ومازال الجميع حتى يومنا هذا يعرفونه بكنيته أكثر من معرفتهم له باسمه الحقيقي.

كان شمران الياسري ذاكرة عراقية ممتعة من خلال برنامجه المذكور والذي تم إيقافه من قبل السلطات آنذاك بعد توقيف أبو كاطع نفسه عام 1962 بتهمة توقيعه نداء السلم في كردستان ذلك الوقت.

ولد أبو كاطع واسمه الحقيقي "شمران يوسف محسن الياسري" في العام 1926 في قرية محيرجة، المسماة حالياً ناحية الموفقية جنوب غرب الكوت بحوالي 35 كم، وتوفي في السابع عشر من آب أغسطس عام 1981 في براغ بحادث سيارة مدبر من قبل المخابرات العراقية ودفن في مقبرة شهداء الثورة الفلسطينية في العاصمة اللبنانية بيروت.

قضية شمران الياسري

جمعة اللامي

من تحسى مرقة السلطان، أحرقت شفتاه ولو بعد حين "من أمثال العرب"

أحترق قلبي عندما بعث إلى احسان الياسري، نجل الصديق الأديب والمناضل الراحل شمران الياسري، بنسخة من رواية والده: "قضية حمزة الخلف"، وعلبتين من حلوى.الحلوى أردنية، لا عراقية، لكنها تذكرني بحلاوة المرارة التي عند ألسنتنا جميعاً، حين يمر طيف شمران في لياليا ونهاراتنا.لكن أن يتذكرني ابن شمران، ويهدي إليّ نسخة من هذه الرواية، أمر يذكرني ب "أبي كاطع" مرات ومرات، ويعيد عليّ حكاية قديمة بدأت منذ مطالع ستينات القرن الماضي، عندما وفد علينا "بعض الأوادم" من بغداد، وكان بينهم "أبو كاطع" رحمة الله عليه.كنا نقيم في منطقة "خلف السدة" والتي هي الآن ذاكرة "مدينة الثورة" أو "مدينة الصدر"، في منازل من القصب والبردي والطين وبعض الطابوق. من دون كهرباء، وبلا تمديدات مياه. ويوم أهدتنا المناضلة الوزيرة نزيهة الدليمي حنفيات المياه الصالحة للشرب لنروي بعض مناطق "خلف السدة" كان ذلك يوم عيد بكل ما في العيد من معنى وفرحة.بعد ذلك العيد، زارنا وفد "الأفندية"، كما كان أهلنا يدعون الذين يقيمون خارج "خلف السدة" وعندما استقبلناهم على الأرض، والطعام على الأرض، والجلوس على الأرض، كان شمران الياسري منسجما مع الأرض، وكان معلّمي عبد الأحد المالح، الذي قتل غيلة في انقلاب،1963 يتصرف كما لو كان يتدرب على تمرين شاق، وهو فعلا كان رجل الأخلاق العالية، والمهام ا لشا قة . و كا نت حيرتنا كبيرة مع المحامية ماجي تلّو، شقيقة الشهيدجورج تلّو، لأن المرأة سافرة، وملابسها ليست طويلة نوعاً ما، وكان عليها أن تجلس لتتحدث إلى نسوة عراقيات لم يتعودن نزع عباءاتهن، عن السلام العالمي والاشتراكية وعبد الكريم قاسم. والاتحاد السوفييتي العظيم... "" ! "".منذ ذلك اليوم، تعرفت إلى شمران الياسري "أبو كاطع" الفلاح، والمناضل، والانسان، والكاتب، إلى أن تفارقنا بعد ليلة صاخبة في حديقة "اتحاد الأدباء العراقيين" ضمت كلاً منه حسب الشيخ جعفر، ياسين النصير، صادق الصائغ، وعبد الستار ناصر.أظن ان ذلك حدث في أحد أيام ربيع، 1978 وإذا أخطأت في تحديد تاريخ ذلك اليوم، فالراحل شمران هو الذي أجدر من غيره بالاعتذار، لأنه مات وحيداً مقهوراً في بلد شرقي، ولحقت به أنا في بيروت، ثم في دمشق، وبعدهما في الشارقة، وليس معي إلا ذاكرة لم يستطع انصاف المناضلين مصادرتها.سوف تسقط حكومات، وتحدث ثورات وانقلابات، وتلتحم جبهات أو تنفرط، وتغير أحزاب أسماءها، ويستبدل أحدهم بلقب المناضل، رسمياً أو مسمى: سيادة الوزير، أو عطوفة النائب، لكن شمران الياسري يبقى حاضراً في أذهان أجيال من العراقيين، وفي دفاتر الثقافة الوطنية العراقية، وفي ذاكرة "حكمة الشامي" و"غريب المتروك".نعم. شمران يتعرض إلى اهمال من أقرب الناس إليه، خصوصاً في عهد الديمقراطية التي منحها المحتلون لبعض رفاقه القدامى، لكنه لا يمكن ان يقتلع من ذاكرتنا، نحن الفقراء الذين صارت عندنا قضية منذ رأيناه، تماماً كما حدث مع "حمزة الخلف".

> **حياته عبارة عن وحدات مركبة تصلح للقص الطويل والبناء عليه**

شمران الياسري.. النهاية

عبدالمنعم الأعسم

في النهاية سجل اسم شمران الياسري "ابو كاطع" شهيدا.. احسب ان هذا لم يكن يعنيه في حياته، لانه يعرف، ما كان يعرفه لوركا، عندما حذروه من تنكيل الفاشت انْ قال: لم تخبروني بما لا اعرفه.

كان ابو كاطع شخصية روائية لاتبخل بالتضحية في شيء. اي ان حياته عبارة عن وحدات مركبة تصلح للقص الطويل والبناء عليه بوحدات اخرى، مثل حياة اية شخصية روائية في الآداب العالمية، تنتهي بفاجعة مبكرة، او مثل طريقتها في التحول من مجرى الى آخر ثم الى الذروة، وطبعا، مثل نهاياتها التراجيدية. راسكولينوف بطل رواية ديستويفسكي، الجريمة والعقاب، كان متفوقا وانتهى الى عابث بحياته. لقد ضاق بالحدود فثار عليها وعلى نفسه. سانتياغو نصار بطل رواية "موت معلن" انتهى في الحدود التي ضاقت عليه. اما الياسري فقد استطاع ان يعبر حدود الوطن لكنه بقي يدور بين حدود اقسى هي حدود النفس المنتزعة من بيئتها والمقذوفة الى مصير مجهول.

ثمة قليلون رصدوا ملامح "البطل" ابو كاطع التي تمثلت في تلك الجمرات اللاسعة المندسة طي النصوص التي نشرها بين عام 1978 حين غادر العراق وعام 1981 حين قضى في حادث سير "مدبر" على احد الطرق الخارجية الاوربية يشك في انه مدبر، وكانت تفلت من بين السطور والعبارات وكأنها عيّنات بحرية غريبة تظهر وسرعان ما تختفي، فالقول انه ولد في منزل يتقاسمه "السادة والعبيد" يعطي الانطباع الاول عن فلّاح يعني عنده السيد والعبد الشيء الكثير، في حين تبقى سجية الفلاح تتابع مع ابو كاطع "بطل الرواية" وهو يتفنن في اطلاق لغته المليئة بـ"الحسجة" الاجتماعية والسياسية، يقول، وكأنه يخاطب نفسه:سيبقى ظهري يؤلمني ويؤلمني، ويقض مضجعي، آه يا ظهري.. هل سيبقى ظهري كذلك؟.

اما علي الشوك الكاتب المهاجر فقد كان افضل من رصد البعد الروائي في شخصية شمران الياسري فحين انتقل ذلك الفلاح الذي اسماه الشوك "ابو ناصر" من الريف العراقي الى شوارع البلور في اوربا، بقي كما يقول الشوك: "يمارس حياةً متحضرة جداً على رغم أنّه لم يتخلّ عن جذوره الفلاحية، وهو يرتدي بدلة أنيقة مع وشاح حريري حول رقبته.

كان بطلنا يسخر بجدية لافتة مما يدور من حولنا، وفي ذات الوقت، يكون جادا في سخرية لاذعة، اقول، كان جادا وساخرا لا احد يعرف من ايهما يبدأ، وكان امينا على ما اؤتمن عليه من قسم على التضحية والافتداء، لكن المرارة سبقته الى مسرح الاحداث، وسرعان ما اطيح بآخر الاحلام، وقل الاوهام. اليس تلك هي عناصر الشخصية الروائية لدى شمران الياسري التي وجدت في المنفى خارج الوطن نوعا من العزاء الموقت.

استعادة " أبو كاطع "

كاظم غيلان

نستذكر بين فترة وأخرى شخصية الكاتب الشعبي الفذ شمران الياسري الذي أحتفظ بكنيته الطيبة"أبو كاطع" منذ ولوجه عالم الكتابة، وربما يساء فهم هذه الشخصية ان ركنت في خانة الآيديولوجيا، فهو واحدة من ثروات ثقافتنا العراقية، بدءاً من عموده الشهير "بصراحة أبو كاطع" فضلاً عن رواياته " الرباعية خاصة" وهو روائي الريف الذي يقف على الضفة المقابلة له الفقيد الآخر روائي المدينة غائب طعمه فرمان.

يستذكر الصديق الكاتب والاعلامي المعروف د. جمال العتابي في كتابه الصادر تواً عن دار الثقافة والنشر الكردية "كلمات متقاربة المدى" هذه الشخصية في ثلاث مقالات استقى جوهر حروفها بحكم معايشته له، ففي الأولى يكتب "حكايات شمران الياسري.. مشهد ينتمي الى الحياة.. وقوة حاضره" وفي الثانية" شمران الياسري.. المحلق في سماء الكتابة حراً طليقاً" فضلاً عن المقال الذي كرسه لرواية الفقيد الياسري "ملح الخبز".

لا أريد عبر هذه الكتابة أن اتوجه بشكري أو دعايتي لكتاب الصديق العتابي، فهو ومن دوافع الوفاء الذي عرف به ،جاءت كتابته، لكنني اجدنا قد قصرنا لحتى الآن مع ابي كاطع، وربما حصلت محاولات طيبة لجمع جميع اعمدته الصحفية ورواياته ضمن عمل واحد وليكن أعماله الكاملة لتكن كتاباً بين أيدينا، وخاصة الأجيال الجديدة التي عاشت مابعد سبعينيات القرن الماضي والتي لها الحق كاملاً في سبر أغوار هذه التجربة التي التحمت مع معاناة شرائح شعبنا المسحوقة ونادت بمعاناتها وويلاتها في صراعها المرير مع دكتاتورية البعث وجرائمه ودمويته المعلنة، فكانت كتابات الياسري فاضحة، صادمة، شجاعة، تسببت في أرق أجهزة النظام بروح ساخرة بقوة، ارتبطت كتاباته وخاصة عموده الجريء"بصراحة أبو كاطع" بتراث شعبي عراقي تصدرت الأمثال معظمها.

يسخر ابو كاطع من واقع يعي جداً مدى هشاشته من خلال وضع سياسي ملتبس، وهذا ما تمثل جداً في تسميته التي أطلقها على تحالف حزبه مع البعث وأعني " الجبهة الوطنية" التي أسماها بـ"الجبحة" في أشارة لعثرة مؤسفة في طبيعة

هكذا تحالفات كانت ضريبتها حمامات من الدماء بعد أن ابتدأت بأبتسامات عريضة.

وهذا مايؤشر مدى تمتع هكذا مثقف حقيقي بنكران ذات قل نضيره، خاصة في الالتزامات الآيديولوجية التي تملي الانضباط الصارم حتى ولو تجاه ألأخطاء الفادحة.

اننا ازاء واجب كبير يدعونا لأستعادة كاتبنا بكامل ما تركه لنا من أعمال، أعمدة، روايات، مقالات، وفي هكذا عمل نكون على أقل تقدير، قد سجلنا وفاءً عراقيا لمن وهبوا أعمارهم لخدمة قضايا شعبنا الذي تخلص من أرث الدكتاتورية عبر كفاح طويل.

أسمه على كل لسان

يوسف العاني

من الشخصيات الأدبية والاجتماعية والسياسية الحبيبة الى الناس جميعاً وعلى مختلف مستوياتهم.. والتي ظلت في القلب والبال والروح.. شمران الياسري، والذي صار أسمه على كل لسان.. «ابو كاطع» لم يكن كاتباً ولا متحدثاً اذاعياً فحسب بل كان في تقديري حالة متميزة.. وظاهرة شاعت في مسار حياة الشعب العراقي، عبر كل موقف يمس معاناتهم سلباً او إيجاباً فترى وتسمع كلمات ذاك الريفي البسيط المشحون أمانة واحساساً وشرفاً وكرامة لاتقبل ان يقترب السوء او الجور او الظلم منها، كلمات كالنار.. بل تسمع احيانا إيقاعها فينتفض لحنا بلا كلمات لكنه في الأصل كلمات تتجمع وفق سياق غير تقليدي ليتراكم معنى ينفذ الى الهدف فتتفتح عبره الآذان والعيون من خلال الكلمات مكتوبة او مسموعة. شمران.. جاءنا محملاً بحماسة نظيفة كريمة كالعنبر وادعة كرقة الملائكة شامخة كنيل البطولة..

ولم يكن مدعياً ولامتباهياً.. بل إنسان يسير مع السائرين في درب كفاح الشرفاء الباسلين بلا طلب لجاه او موقع أو «عوض» مادي..

عاش كما الآخرون وراح من دون ان يدري- كما سبقه عباقرة عراقيون في ميدان مخاطبة الناس بالقلم المقروء اولاً.. بالقلم المسموع ثانياً حيث دخل.. «ستوديو الاذاعة» ليكون حديثه ليس حديثاً بل ضربات تؤذي ولا توذي توقظ ولاتخدش الا أصحاب الشر والعابثين بقوت ومصائر الناس ومواقعهم الشريفة، بشر يحيا بسعادة وراحة بال وكرامة.

وترسم - أي الكلمات - صوراً مضيئة في النفس كي لا تتكدس الظلمة ويتيه إنساننا العراقي الكادح والنبيل في دياجيرها ليستلب ويفنى..

شمران - الذي صار - أبو كاطع - قلت صار واحداً مثل آخرين سبقوه - حبزبوز والملا عبود الكرخي.. وخالد الدرة.. ثم وجد انموذجاً سبقه في حدة القلم وشدة الكلمة وعميق التأثير في النفس - أبو سعيد - عبدالجبار وهبي المناضل والكاتب الكبير.

كما هؤلاء.. كان.. وكما كان قبله الفنان العراقي المبدع الذي لم يكن له نظير في مجاله، عزيز علي.. كان عزيز علي يقدم المونولوج.. لكنه لايسميه «غناء» كان أسمه. المقالة الملحنة.. فكلماته ليست للتطريب وللمداعبة المائعة..

ابو كاطع كان يقرأ كلماته المكتوبة وكأنها فن مسموع يحمل لحنه وايقاعه.. فما يقدمه كان "مقالة مسموعة" أثرها يقترب بل يمتزج بتأثير مقالات عزيز علي الملحنة.. ومقالات ابي سعيد الصارخة بهدوء، والمتلاعبة بعمق في النفس كبرناردشو.. الذين فتحوا ابواب المعرفة بالحالة الانسانية قبله كل على قدر من الجدارة والاسلوب المتميز..

ابو كاطع.. كان. واقول على مسؤوليتي.. نموذج الزمن الذي عاشه.. بل سبقه بوعيه الثاقب.

ليرسم ماسيكون..

كنا نهرع يوم كل اربعاء لنجلس امام الراديو نستمع الى «عزيز علي»... كان الناس يهرعون قرب -الراديو- ليستمعوا الى – ابو كاطع- يضحكون..

وينصتون.. ويضربون يداً بيد.. وينهضون وقد شحنهم ابو كاطع بمثل خيرة وبحالة من وعي مضاف بماهم فيه.. وكان تأثيره وجها من وجوه المسرح السياسي الذي نعرفه.

كان معنا في فرقة المسرح الحديث. عضواً فاعلاً فيها لا ممثلاً ولامخرجاً.. لكنه كان مشاركاً في كل ماتقدم.. وكان مشاركاً في اعمال اذاعية.. تكتب للفلاحين او البسطاء..

ظل شمران صديقاً حميماً مثل قالب الثلج في تموز..

وكنت أشتاق اليه اذا غاب.. وحين غادر العراق وفرقنا.. وافترقنا كل في مكان.. كان مكانه في القلب واثره في الكثير مما نكتب او نستذكر فشمران.. ابو كاطع الكبير نجم فن «المقالة المقروء» عند ابناء الشعب على مختلف مستوياتهم وظل حتى اليوم- حالة نادرة- نرجو ان يحتذي له هذا الجيل فهو بحق أستاذ ومدرسة وإن انى فلن انسى تلك «الهوسة» التي قاد بها مسيرة الفرقة بعد ثورة 14 تموز عام 1958 ومعه عبدالمنعم محمد علي وعبدالامير العبود حيث وصفنا المسرح واعطيناه التعريف التالي: "المسرح مكتب- كل الوادم تدرس بيه"

الفلاح الذي وجد نفسه بين الحبر والكلمات

فلاح حسن الخطاط

في كل آب، نستذكر (أبو كاطع) ونحن بأمّس الحاجة إلى صراحته الجليلة لنواجه بها أنفسنا ومن نحبهم من حولنا، ولنواجه المسؤولين عن حياتنا وأمننا ومستقبلنا.. ونواجه بعض الذين سخر (أبو كاطع) منهم وكشف زيفهم وسطحية عقولهم.

قبل 32 عاما غادرنا الصحافي والروائي الساخر (شمران الياسري). في حادث سير لئيم جاءت نهايته وهو في طريقه لزيارة ابنه جبران (الذي كان يعيش في بودابست) يوم 17/8/1981.

وكان عند رحيله، في اوج عطائه الفني وذروة نضجه الفكري. فقد تمكن من أدواته ووسيلته الإبداعية على نحو متميز ولافت.

وبهذا انتهت حياة المناضل، اسطورة العمود الصحفي البارز الذي اسسه بصراحته المشهورة، ودفن خارج الوطن، ببيروت في مقبرة الشهداء.

اشتهر الياسري منذ اواخر العام 1958 باسم (أبوكَاطع) نسبة إلى برنامجه الإذاعي الذائع الصيت. وكان اسم (أبوكَاطع) وبرنامجه الموّجه إلى الفلاحين (إحجيها بصراحة يبوكاطع) قد فاق شهرة صاحبه.. ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شمران الياسري يُعرف إلا من خلال الكنية التي لازمته كظلّه مثلما لازمته كلمة (الصراحة).

للأسف لم يحظ (أبوكَاطع) كأديب في حياته، كما لم يحظ بعد مماته بما يستحقه من ضوء، خصوصا وانه ترك لنا أعمالا ناجزة، بحاجة إلى الدرس والنقد والتقويم، رواية من أربعة أجزاء (الزناد، بلابوش دنيا، غنم الشيوخ وفلوس حمّيد) وروايا ثانية (قضية حمزة الخلف) صدرت بعد وفاته، وعشرات بل مئات من الحكايات والاقصوصات والمقالات الصحافية ذات النكهة الخاصة، المصحوبة بالسخرية، وعمود صحافي مُعّمر وموجز وشديد التكثيف وكثير الإيحاء (بصراحة أبوكاطع). وقد صدرت مجموعة مقالاته في السبعينات في أربعة أجزاء، مُنع الجزء الرابع منها وصودر من المطبعة. واضطر (أبوكَاطع) إلى مغادرة العراق في العام 1976 بعد أن حُرم من الكتابة، من قبل السلطة الغاشمة آنذاك بعد ان اتخذت موقفاً سياسياً ضد العامية بدعوى حماية الفصحى وسلامة اللغة العربية.

عاش (الياسري) عفيف النفس، نزيه الضمير، متمّردا على البيروقراطية التي واجهها في المؤسسات التي عمل فيها، فوزّع تقواه ونجابته على من حوله، فلم يكن سياسيا نهّازاً للفرص، بل كان فلاحاً شديد القرب من الأرض، وكان يفهم عمق المحنة التي يصطرع بها رفاق دربه، ويعرف من يستحق منهم الرفقة، وكان إنتاجه في العمود الصحفي متفرداً لم يغامر غيره بتقليده او محاكاته.

وكان ملفتا للنظر ومثيرا للاهتمام أينما حل.. فكان يستحوذ على اهتمام أي مجلس ويشغل الناس به. صادقا، غني النفس والمحضر.. ولم يتعالى على الناس مهما كانت منزلتهم او ثقافتهم او ثرواتهم!.. لقد امتهن (أبوكَاطع) مهنة الحرف، وإستعصت عليه المكاتب وضاقت به الغرف وأقلقته النمطية واحتصرته الرتابة. كان يجد نفسه بين الحبر والكلمات، فهو الصحفي المحترف وليس رجل المؤسسة او الموظف المنضبط. لم تكن لديه اسرار كثيرة.. ربما بحكم منشئه الفلاحي، ثم بحكم امتهانه الصحافة، فمنطق الصحافة غير منطق الاسرار والخلايا والعمل السري.

ويتذكر الكثير من القراء، أعوام السبعينيات. إذ كان الناس يقرأون صحيفة «طريق الشعب» بالمقلوب.. أي من الصفحة الأخيرة.. لأنهم كانوا يريدون الإطلاع على حقيقة الاوضاع من خلال عمود «بصراحة أبو كاطع».

كان عموده مجساً مرهفاً. حلواً شفيفا.. رغيف خبز ساخن.. ثرّاً.. بالحكايات والأقاصيص، الحكم والأمثال، الشعر والمفارقات. كلها ممزوجة بسخرية شفيفة حزينة.. تمس شغاف القلب والعقل معاً، بتوحد ندر مثيله في عالم الصحافة..

إن ما شّكل الذخيرة الإبداعية للكاتب «أبو كاطع» هو هذا الحشد الفلكلوري من الحكاية والشعر الشعبي والغناء وأغاني العمل والتنويم والأعراس والمآتم والأساطير والمفارقات اليومية والهم السياسي.

فقد شيد (أبوكَاطع) مدرسة خاصة للكتابة الصحفية، طورها لتأخذ شخصياته بعدا» روئيا» ولتكتمل بالتدريج او تسعى للأكتمال.

ترك لنا (أبوكَاطع) سيرة فريدة، غير قابلة للتكرار والاستنساخ.. كان مبدعا» بحق واشكاليا» على الدوام.. إنسانا على قدر من الاستثنائية والتفرد.

إن هذه الشخصية المتفردة، والتجربة الغنية، واجب على شعبنا في تخليد مبدعيه، وحق الأجيال الآتية كي تعرف أسلافها، قد فرض علينا وعلى أصدقاءه ومحبي ثقافته وأدبه، استمرار الاحتفاء به كل عام. مثلما علينا أن نحتفي بالرموز الوطنية والثقافية الكبيرة في بلادنا.

ومن هنا ادعو كليات الاعلام الى دراسة اسلوب الياسري في كتابة العمود والتعريف به كون ان هنالك بعض من الاساتذة وليس الطلاب هم ممن لم يعرفوا ابو كاطع ، كذلك ادعو الى انتاج رباعيته الى مسلسل درامي تلفزيوني كونه يوثق مرحلة مهمة من تاريخ العراق المعاصر.

The Soul Bird

By Michal Snunit

Deep down.
Inside our bodies.
Lives the soul.
No one has ever seen it.
But we all know it's there.
Not only do we know it's there.
We know what's in it. too.
Inside the soul.
Right in the verey middle of it.
There's a bird standing on one foot.
This is the soul bird.
It feels everything we feel.
When someone hurts our feelings.
The soul bird runs round in pain.
When someone loves us.
It hops and skips
Up and down
Backwards and forwards.
When someone calls our name.
It listens carefully
To hear what kind of call it is.
When someone is angry with us.
It curls itself into a ball
And is silent and sad.
And when someone hugs us. the soul bird.
Deep down. inside. grows and grows
until it almost fills us.
That's how good it feels when someone hugs us.
Deep down. inside. lives the soul.
No one has ever seen it.
But we all know it's there.
Never. never has a person been born
Who didn't have a soul .
It sparks the moment we are born
And ever leaves us-
Not even once- for as long as we live.
It's like the air that people breathe
From the moment they are born
Until the time they die.
Do you want to know what the soul bird is made of ?
Well. it's really quite simple:
It's made of drawers.
These drawers can't be opened just like That-
Because each is locked with its own Special key:
Only the soul bird can open its drawers.
How?
Ah. that's quite simple too:
with its other foot.
The soul bird stands on one foot.
And with its other foot
(tucked under its wing when it's resting) it turns the key to the drawer
it wants to open;
pulls the handle. and lets everything inside – out :
Because there is a drawer for everything we feel.
The soul bird has many. many drawers:
one for being happy and one for being sad;
one for being jealous and one for being content;
one for being hopeful and one for being hopeless;
one for being patient and one for being impatient.
There is also one for hating
And one for being loved.
There is even a drawer for being lazy and one for being vain.
And there is a special drawer for your deepest
Secrets –
Which is hardly ever opened.
There are other drawers too
whatever drawers you dream of.
Sometimes you can tell the bird
Which keys to turn
and which drawers to open.
Sometimes the bird will choose especially for you like.
When you want to be silent.
And order the soul bird to open the silence drawer.
But the bird decides all by itself
To open the talking drawer
And you talk and talk
without even wanting to.
You want to listen patiently. but the soul bird
Opens his impatience drawer
And you became impatient.
Sometimes you get jealous without meaning to.
And sometimes you get in the way when
You only want to help.
The soul bird does not always do what it
Is told
and gets things in a mess.
By now you've understood that everyone
Is different
Because there's a different soul bird deep inside.
The bird which opens the happiness
Drawer each day
Pours happiness into your body
And you will be happy.
But if the bird
Opens the anger drawer
He will be angry
Until the bird
Closes the drawer
Behind him.
A bird who feels bad will open up the drawers
Which make you feel bad.
A bird who feels good will open up the drawers
Which make you feel good.
Most important is to listen to the soul bird.
Because sometimes it calls us and we don't
Hear it.
This is a shame – it wants to tell us about
Ourselves.
Lt wants to tell us about the feelings that are
Locked up inside its drawers.
Some of us hear it all the time.
Some almost never.
And some of us hear it
Only once in a lifetime.
That's why it's a good idea –
Maybe late at night when everything is
Quiet-
To listen to the soul bird
Deep down inside us

من الشاعرة ميشيل سنونيت

روح الطير

ترجمة : أسامة عبد الكريم

ميشال سنويت: صحفية وكاتبة وتكتب الشعر موجهة للاطفال ،بالاضافة الى الكبار لها كتب عن الاطفال والفتيان وشعر غنائي.. واخترت هذه القصيدة (روح الطير) التي باعت اكثر من مليون نسخة وترجمة الى 25 لغة، كونها مفعمة بالشفافية والبساطة وتخاطب الجميع الكبار والصغار لاستكشاف العلاقة بين النفس والروح بشكل جذاب و جميل. وهذه القصيدة ممكن ان تصلح لعرض مسرحي للاطفال.

في العُمُق،
داخل أجسامنا ،
تعيش الروح.
لا يراها أحد ابداً ،
لكننا جميعا نعرف انها موجودة في داخلنا.
ليس فقط أننا نعرف انه موجود في داخلنا.
نعرف ماهو في داخل الروح ،ايضاً.
داخل الروح،
بالضبط في وسط الروح،
هناك طير يقف على قدم واحدة.
هذا هو روح الطير.
هو يحس بكل شيء، نحن نحس.
عندما يقوم شخص ما يؤذي أحاسيسنا ،
روح الطير تخبط و يتخبط في ألم.
عندما يحبنا شخص ما ،
روح الطير تحجل و تقفز
الى الاعلى والى الاسفل
الى الوراء و الى الامام
عندما يدعو شخص ما بإسمنا ،
انه يصغي بعناية
لسماع أي نوع من الدعوة عليه.
عندما شخص بغضب منا ،
الروح تلف نفسه.. يتكوّر مثل الكرة
ويكون صامتاً و حزيناً.
وعندما يعانقنا شخص، طير الروح ،
داخل اعماقنا ، ينمو ويكبر
حتى يكاد يملأنا او ينفخنا.
هكذا تشعر بانه جيد عندما يعانقنا شخص ما.
بعمق ، في الداخل ، يعيش طير الروح.
لا يراه أحد ابداً ،
لكننا نعرف انه موجود هناك.
لم ، لم يولد شخص وهو ليس لديه الروح.
انها لحظة تألق ولادتنا
ولم يتركنا ولا أي
مرة طالما نحن نعيش
انه مثل الهواء الذي يتنفسه الناس
من لحظة ولادتهم
حتى وقت موتهم.
هل تريد أن تعرف ماذا تعتقد روح الطير؟
حسنا ، انها حقا بسيطة للغاية :
انها مصنوعة من صندوق ذي الجوارير .
هذه جوارير لايمكن فتحها بسهولة
لأن كل واحد من الجارور مقفول بواسطة مفتاح خاص!
إلا روح الطير تستطيع ان تفتح الجوارير .
كيف؟
آه ، هذا ايضاً بسيط جدا :
مع قدم الآخر.
طير الروح يقف على قدم واحدة ،
و مع قدمه الآخر
(مدسوس تحت جناحه عندما يكون مرتاحاً)
فإنه يدوّر المفتاح في الجارور
انه يريد أن يفتح
يسحب المقبض ، ويتيح كل شيء
بداخل -- خارج!
لأن هنالك جارورا فيه كل شيء يحسسنا،
لدى العديد من طيور الروح ، جوارير كثيرة :
واحد يكون سعيداً و واحد يكون حزيناً؛
واحد يكون غيوراً و واحد يكون راضياً ؛
واحد يكون مفعماً بالأمل و واحد يكون بائساً ،
واحد يكون صبوراً و واحد يكون نافد الصبر.
هناك أيضا يكون واحد للحقد
و واحد يكون من اجل الحب
هناك جارور خاص يكون للكسل و واحد يكون بلا فائدة.
و هناك جارور خاص لاعماقنا
أسرار -- التي بالكاد تفتح في اي وقت.
هناك ايضا جوارير أخرى
مهما جوارير كنت تحلم بها
أحيانا تستطيع ان تخبر الطير اي مفاتيح تدار واي جوارير تفتح .
بعض الأحيان الطير سيختار لك بشكل خاص ،
مثلا ، عندما تريد ان تكون هادئاً
و روح الطير تأمر بفتح جارور الهدوء
لكن طير الروح يقررعلى الكل بنفسه
بفتح جارور المحادثة
وتتحدث وتتحدث
حتى من دون رغبة في ذلك.
تريد الاستماع بصبر ، لكن روح الطير
تفتح جارور ضجَره
وانت تصبح متضجِّراً.
احياناً انت تصير غيوراً بدون قصد.
و أحيانا انت تصير في الطريق عندما
تريد فقط لتساعد.
طير الروح ليس دائما يفعل ما يبلَّغ
وتصير الأشياء في فوضى.
حتى الآن انت فهمت أي واحد
مختلف
لأن هناك روح طير مختلف بتعمق (راسخ).
الطائر الذي يفتح جارور
السعادة كل يوم
تتدفق السعادة في داخل جسدك
وسوف تكون سعيداً.
لكن لو أنَّ الطائر
يفتح جارور الغضب
سيتكون غاضباً
حتى الطائر يغلق الجارور وراءه.
وهناك الطائر الذي يشعر باستياء سيفتح الجوارير
والتي تجعلك تشعر مستاء .
وهناك الطائر الذي يشعر جيداً ..سيفتح الجوارير
التي تجعلك تشعر جيد.
الأكثر أهمية هو أن نصغي إلى طير الروح ،
لأن بعض الأحيان يدعونا ، ونحن لا نصغي اليه.
هذا شيء مخجل – انه يريد ان يخبرنا عن أنفسنا.
يريد أن يخبرنا عن المشاعر (الاحاسيس) التي
قفلت داخل الجوارير.
بعض منا سماعها في كل وقت.
بعض ابداً (لم يسمعها) تقريبا.
و بعض منا سمع
مرة واحدة فقط في مدى العمر.
هذا هو السبب انها فكرة جيدة --
ربما في وقت متأخر من الليل عندما يكون كل شيء
هادئاً .
للاستماع إلى طير الروح
في داخل أعماقنا.

شمران الياسري في ذكراه.. بنغمة الشعر وبحر الصبا! المؤلم

ذياب مهدي محسن

والفكرة المتقدة بعبق طليع النخيل...وشدو البلابل في الأصيل... كم انا في شوق ممض الى أن اكتب ببساطة وطبيعية أنسياب ماء نهر... بلغة أهل عراقي وجنوب المراثي... فهذه الخبرات وماتفرزه من تعقيدات ومعتقدات تسمم الثقة بالنفس وتشوش على البصائر ربما التحدي لكن تورم الذات بعقد نفسية وآفات عقلية تنتشر على نسيج كما الدمامل !؟ ولذلك ارجع لأكتب بلغة أهل بلدي...العراق... عن شمران الياسري ابو كاطع...رحلة شاقة عبر تاريخ نضال الحزب الشيوعي»أنتمائه»ونضاله الشخصي! دروب وعرة تخطاها!باحثا عن خلاص حقيقي غير موجود! ورغم من الأنكسار ومحاولات الأحباط التي جابهته ! لكنه صامد ولم ينفك أن يدين الواقع ويعرية من أجل غده السعيد! وكأنه جسر ضروري لأختصار الزمن «الحلم» المتطاول وشروط أولى لأنسانية الأنسان وخاصة الإنسان العراقي هذا ابو كاطع كما عرفته. شمران... بزيه القروي متلفعاً بعباءة ذات لون بني يعلو هامته عقال(حياوي) غليظ أستقر على يشماغ يوحي لأول وهلة بأنتمائه الى ريف نهر الغراف المنحدر من مقدم سدة الكوت والمتجه صوب الجنوب بهدوء ليتشتت ماؤه في أهوار الثوار بعد سد البردعة في الشطرة الناصرية... في هذا المكان ولد وعاش شمران...هنا عالمه الحقيقي وفردوسة وذكرياته وأحلامه وأمتلاؤه من طينه ومائه ...نبتت قيمه الإنسانيه وامتزجت أفكاره... أنه «الحي»في العراق وحزبه... شمران وجه مستطيل يشع بالبياض (نور جده محمد ص) جبهة عريضة واسعة بهية، شارب أسود نافر، عينان لامعتان تشعان بريقا ذكيا، قامة اقرب الى الطول وقوام رشيق مع تقوس خفيف في عظام الظهر، لايدل على تقدم في العمر! بل هو دليل حياء وخجل وأدب.

شمران... في كتاباته ينسج بأتقان الفكرة اولا ثم العبارة، انه مصور دقيق للشخصيات،فنان ومفكر ومادته الصحفية تضم حشدا من الصور اللأمعة، تأتي أشبه بالعاصفة وأحيانا تتراءى هادئة، بصورة متزاحمة ولماحة وهو في كلتا الحالتين مكتشف للمعاني عبر ما انتجته عقليته النيرة ما تدعه منفتحا على الدوام على الحياة وجمالها وعلى ديمومتها... أفكاره محملة بلسعات ومقطوعات ثرية متوهجة عميقة الأثر، كبيرة المغزى، تجسد في قادرة على ألاكتشاف وبذات الوقت الحرص على الوفاء لابعاد العمل الفني والممزوج بالنضالي كما هو يقف بصلابة في رباعياته الروائية المعروفة فلقد اضاف فيها مسارا جديدا للثقافة العراقية وفي تلك المساحة الممنوحة له من الحرية!!؟؟

شمران... لقد مر باصعب تداعيات المرحلة في زمن المخاض الجديد الجبهة «الجبحة» كما كان يسميها!! وعاش وأهله وحزبه صراعا فكريا وسياسيا ومهنيا حادا ظل يكابده بألم ممض فاختار الرحيل عن ارضه وعن حزبه الذي منحه كل شيء في حياته كان رجلا قسريا وصعبا وسلسا كالزلال ورقيق كنسائم فجر الفلاحات ، رحل عن اصدقائه ومحبيه فسكن ارض الغربة مختنقا بهواء لم يألفه سلب منه هويته وجموحه وصبواته وجلجلة ضحكاته مودعا (خلف الدواح) وفلوس أحميد ليصرخ من جديد بوجوه الأقنعة المزيفة..... بلابوش دنيا....!!؟؟ شمران...!! الذين عاشوا مع» ابو كاطع» سنوات ابداعه الروائي و حفره تلك الخواطر الغزيرة في الحياة والسياسة كانوا يعرفون عن قرب طاقته «التوليفية» الفذة في التقاط مدلولات الواقع وشحنة المفارقات اليومية وتحشيدها في النص المكتوب، وبكلمة، كانوا يعايشون كيف كان» ابو كاطع» يصطاد الفكرة، بمهارة بنائية حاذقة، من تناقضات اللغة او من تناقض الواقع ويعيد انتاجها في توليفات شعبية تلقائية بسيطة على لسان ابطاله وزوار مناماته واحلامه ومحاوريه.

مسك الريبورتاج :

رحل (ابو كاطع).. وبقيت ذكراه: مشهداً ينتمي الى الحياة بحكاياته التي ماازالت مرتسمة في الذاكرة وكلماته التي اصبحت عالماً يسكنه البشر، وتحولت الى قوة حاضرة، توحي بوجود آخر له، من اجل ذلك ينبغي ان لا ننسى وجود القمر منتصراً على الظلام.

في خضم تلك الفترة الحرجة كان عمود الفقيد «ابو كاطع» ملاذنا الوحيد و متنفسنا .. لم يكن عمودا صحفيا وحسب انما كان بيانا صارخا فاضحا لكل تردي تتسبب به حكومة البعث، وكثيرا ماأحرجت قيادة الحزب مع البعثيين الذين اصبحت قيادتهم مؤرقة قلقة بما يكتبه «ابو كاطع»، واتذكر جيدا كيف كنا نحط ابصارنا على عموده الشجاع قبل ان نطلع على افتتاحية الجريدة التي تمثل راي قيادة الحزب، توفر العمود (بصراحة ابو كاطع) على العديد من عناصر النجاح، ولعل بساطة اللغة المكتوب بها في مقدمة هذه العناصر، الى جانب الحبكة الصحفية العالية التي اكتسبها الفقيد من خلال تجربته الصحفية العريقة بالاضافة لخبرته النضالية وروحه الفلاحية الشجاعة ما اشاع الاهمية في ذلك العمود للحد الذي جعل الناس يتشوقون لشخصية(خلف الدواح) صديقه الفلاح الذي صنع منه بطلا لعموده. ناهيك عن تجربته في كتابة الرواية إذ اجمع معظم المختصين بالرواية العراقية على تصنيفه (روائي الريف) بينما أطلقوا على غائب طعمة فرمان صفة (روائي المدينة).

الباحث محمود شمال حسن

التمركز حول المرجعيات ليس وليد اللحظة

حاوره: سعدون هليّل

الدكتورمحمود شمال حسن استاذ علم النفس الاجتماعي في كلية الآداب- الجامعة المستنصرية من الباحثين القلائل الذين قدموا اسهامات نظرية جادة ومتميزة في علم النفس الاجتماعي وله وقفات فكرية في التنظير الفلسفي، ومن أهم مؤلفاته، سايكولوجية الفرد في المجتمع ـ مدخل، الحرب النفسية الموجهة إلى المجتمع العربي: قراءة جديدة، خطاب الازمة ومحنة الآخر، المجتمع المنجز، الصورة والاقناع، البيئة والاطفال، الشباب ومكشلة الاغتراب، مرجعيات الجماعات، كذلك نشر العديد من الدراسات في الدوريات العراقية والعربية.

التقينا الدكتور في أروقة جامعة المستنصرية وكان هذا الحوار.

• نسمع في اوساط طلبة الجامعات، ان ثمة نفوراً من دراسة علم النفس ما الأسباب التي ادت إلى نفورهم؟

نفور الطلبة من ددراسة علم النفس يرجع إلى عدد من الأسباب منها: ان البيئة التي يأتي منها الطالب، هي بيئة رافضة لعلم النفس؛ لأنها تعتقد ان دراسة علم النفس ستفضي إلى اصابة الطالب باحد الاضطرابات النفسية او العقلية. كما ان الطالب الذي يقبل في القسم لا يتمتع بثقافة تؤهله لفهمه. وهذا يعود حقيقة إلى غياب التوجيه والارشاد في المدارس، فضلاً عن غياب تدريس المادة النفسية في المدارس. كذلك اسهمت قنوات الاتصال الجمعية ومنها على وجه التحديد الفضائيات في تكوين صورة نمطية تتسم بالسلبية عن علم النفس، ما أدى إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو علم النفس.

• هناك حديث يدور في الاوساط العملةي مفاده: ان علم النفس في العراق يواجه ازمة وأنها افضت إلى تعطيل دوره في المجتمع. كيف تعلقون على ذلك؟

اتفق معك ان ثمة ازمة تواجه علم النفس في العراق، وهي ترجع إلى أسباب متعددة منها: اننا ما نزال نفتقر إلى الثقافة النفسية التي تؤهلنا للتعامل مع الظواهر الحادثة في عالمنا الاجتماعي بطريقة موضوعية. ومما زاد من ازمة علم النفس في العراق اننا لم نوظف حتى هذه اللحظة، التنظير النفسي في الواقع الميداني او بمعنى آخر لم تكن هناك محاولات جدية لربط التنظير بالميدان، وهو الأمر الذي احدث فجوة بين التنظير النظري والواقع الميداني. وهذه الفجوة أخذت بالاتساع بمرور الوقت، ويساهم الملاك التدريسي في قسم علم النفس بصورة مباشرة في الازمة الراهنة.

اذا نحن اجرينا حسماً لمؤهلات الملاكات التدريسية في علم النفس، نجد أنها تفتقر إلى الخبرة العلمية ومهارات التدريس، وهي بحاجة إلى دورات تربوية وعلمية بهدف زيادة معرفتها النفسية، إلى جانب أنها لم تبلور اتجاهاً علمياً في ميدان التخصص، وقد اثر ذلك على الحصيلة المعرفية للطالب. كما ان غلبة العنصر النسوي على الملاك التدريسي، يعد من الأسباب المهمة التي ادت إلى بروز الازمة. اذ تشير وقائع الميدان، ان علم النفس على وجه التحديد، بحاجة إلى متابعة مستمرة للمستجدات والتطورات الحادثة ف ميدان التنظير. والحقيقة، ان العنصر النسوي في العراق غير قادر على اتمام هذه المهمة بسبب الانشغال بهموم الحياة اليومية، وهو الأمر الذي اضعف المهارات العلمية لهذا العنصر، وبالمحصلة النهائية أدى ذلك إلى انخفاض انتاجيته العلمية. ولو اجرينا مسحاً لانتاجية العنصر النسوي سنجدها منخفضة بصورة لافتة للانتباه. ان الملاكات التدريسية عمدت بمرور الوقت إلى تنمية ظاهرة تفضيل المصادر والدراسات الاجنبية وذلك لاضفاء وجاهة على البحث. وكانت النتيجة المترتبة على ذلك؛ ان الطالب انشغل بالمصدر أكثر من انشغاله بالفكرة المعرفية مما ولد الماماً بالمصادر أكثر من الالمام بالمعرفة الحسية.

المرجعيات جماعات بشرية يرتبط أفرادها بعلاقات تضامنية

• ثمة فجوة بين المثقف والسياسي وأنها آخذة بالاتساع. كيف نتمكن من ردمها؟

نتمكن من ردم هذه الفجوة، من خلال تجسيرها بين الاثنين، بمعنى: ان ينفتح السياسي على المثقف، وان ينفتح المثقف بدوره على السياسي، لان كلا منهما لا يستطيع ان يواصل مسيرته السياسية، او الثقافية، او المعرفية، من دون ان ينفتح احدهما على الآخر. كذلك، ينبغي على السياسي، التخلي عن الصورة النمطية التي تحصر العمل السياسي بالسياسيين وحدهم، وانما ينبغي الاقتناع، ان المشورة والمعلومات التي يقدمها المثقف، مسألة لابد منها، لإنضاج قراراته. في مقابل ذلك، ينبغي على المثقف التخلي عن الصورة النمطية التي يحملها عن السياسي، كونه جاهلا، ولا يفقه شيئا بالقضايا المتعلقة بالمجتمع. كما ينبغي على المثقف، ان يدرك ان مشروعه الثقافي، او المعرفي لن يتمكن من تأسيسه، ما لم يشارك السياسي فيه بنفوذه وامكانياته. وبذلك، فان تجسير الفجوة الحاصلة بين المثقف والسياسي، ستفضي إلى نتائج ايجابية على الطرفين، كونهما يعيشان في مجتمع واحد.

• كيف نرى النخبة المثقفة العراقية في الوقت الحاضر؟ وهل لها دور فعال في المجتمع، ام أنها لما تزل بعد مغيبة؟

لابد من تثبيت حقيقة، ان النخبة المثقفة العراقية، لم تكن مؤثرة في الوسط الاجتماعي، وأنها لما تزل بعد، مغيبة، واذا بحثنا عن الأسباب، سنجد أنها متعددة، وهنا نشير إلى أهمها:

1. ان الكثير من أفراد النخبة المثقفة، تعرض إلى الفقر والعوز، في أثناء الضائقة الاقتصادية التي مر بها المجتمع العراقي، مما أدى انشغال أفراد هذه النخبة بمسألة المعيشة، أكثر من الانشغال بالثقافة والمعرفة. ولقد ترتب على ذلك اضطراب التراتب الاجتماعي، بمعنى ان المكانة الاجتماعية للفرد، لا تتقرر بموجب مؤشرات الكفاءة، او الجهد المبذول، او التحصيل العلمي، وإنما تتقرر مكانته استنادا إلى مؤشر واحد فحسب، كأن يكون المورد الاقتصادي. اما شرط الكفاءة او التحصيل، او الجهد المبذول فلا يراع هنا في تقرير المكانة الاجتماعية. والمهم في الأمر، ان الفقر الذي أصاب الكثير من أفراد النخبة المثقفة أدى إلى انخفاض مكانتهم الاجتماعية، ومن يفقد مكانته في المجتمع، سيضعف تأثيره بالمحصلة النهائية.

2. ان هذه النخبة، أخذت تفقد تأثيرها في المجتمع، بسبب هجرة بعض أفرادها، وبطبيعة الحال، ان الاعداد الكبيرة من النخبة المثقفة، التي هاجرت إلى الخارج، سواء في عهد النظام السابق، او في الوقت الحاضر، تتمتع بخصائص من قبيل: التميز والمهارة العالية والخبرة المتراكمة، فضلا عن انتاجيتها العلمية والثقافية، ولعل ذلك اضعف من تأثير النخبة المثقفة في المجتمع.

3. ومن الأسباب التي اضعفت تأثير النخبة المثقفة في المجتمع، ظهور جماعات مجهولة الهوية، تولت عملية اغتيال هذه النخبة، او تهديدها بالقتل، او الخطف، وهو الأمر الذي أدى إلى التواري عن الأنظار، ومن ثم تقليل نشاطها في المجتمع، سواء على المستوى الثقافي، او على المستوى المعرفي.

4. كذلك فان الضعف الحاصل في منظمات المجتمع المدني، يعد من الأسباب التي اضعفت تأثير النخبة المثقفة في العراق.

• لقد اصبح الخطاب التربوي في الآونة الاخيرة غير مؤثر في سلوك الطلبة، بدليل انخفاض المستوى الثقافي لهؤلاء الطلبة، ما أسباب ذلك؟

لابد من التسليم ابتداءا، ان خطابنا التربوي، كان وكما يزل بعد، عاجزا عن تشكيل سلوك الطلبة، وذلك للأسباب الاتية:

1. ان خطابنا التربوي، لم ينجح بعد في تشكيل اتجاهات تنطوي على العقلانية والمنطق، بدليل ان الطالب في المراحل الدراسية المختلفة، ومنها المرحلة الجامعية، لما يزل بعد يحمل الكثير من الأفكار اللاعقلانية والغيبية، فيما يتصل بتفسير الظواهر الاجتماعية والطبيعية والحياتية التي يتعرض لها، ولم يعد يفسرها طبقا لقواعد المنطق العلمي الذي تعلمه في وقت سابق.

2. ان خطابنا التربوي لم يسهم في تنمية نسق قيمي يتناسب مع الأهداف التربوية المعلنة التي تتلخص باعداد الطلبة، ان يكونوا في المستقبل المنظور، مواطنين قادرين على المشاركة في بناء المجتمع، فضلا عن التمتع بالمسؤولية الاجتماعية والوطنية، وذلك يرجع أساسا إلى ان خطابنا التربوي، ينحو المنحى اليوتوبي في معالجة القضايا المجتمعية، فيما يدعو إلى مجتمع نموذجي (مجتمع المدينة الفاضلة) الذي تذوب فيه الفوارق بين الناس، ويسود القانون والنظام والعدالة، واذا بالطلبة يشاهدون بأم أعينهم معطيات الواقع اليومي التي تتناقض تماما مع بيانات الخطاب التربوي، مما يعني، صرف الانتباه عن سماع رسائله، ومن ثم عدم التأثر بها. ومن المتوقع في حال استمرار الخطاب التربوي بعدم مراعاة الاتساق بين معطيات الواقع اليومي والأهداف التربوية اليوتيوبية المحددة مسبقا في الخطاب السياسي، ان لا يسهم في تنمية النسق القيمي المطلوب على مستوى الثقافة السائدة.

3. ولما كان خطابنا التربوي تلقينيا، اي خطابا يخلو من الإبداع والاصالة، فمن الطبيعي ان لا يسهم في تنمية مهارات الطلبة على المستويين: المعرفي والعلمي، ذلك ان خطابنا التربوي، يعاني من غياب التطابق والانسجام بين التنظير والتطبيق.

4. ان استلام الطالب لمعلوماته ومعارفه بطريقة التلقين، سيؤدي إلى تعليمه انتاج أفكار قليلة عن موضوع ما في مدة زمنية ثابتة، وعلى النقيض من ذلك، عند استعمال طريقة الحوار والمناقشة والنقد، سيؤدي ذلك إلى إنتاج أفكار كثيرة عن موضوع ما في مدة زمنية ثابتة. وبذلك، فان خطابنا التربوي المغرق بالتلقينية، أثبتت الوقائع عجزه عن تنمية أساليب التفكير من قبيل: التحليل والاستنتاج والنقد.

5. لقد أصبح الطلبة معتمد بن على التلقين في تزويدهم بالمعلومات عن العالم المحيط بهم، وبطبيعة المال، ان الثورة المعلوماتية التي تشهدها الآن، يصعب الإلمام بمعارفها بالأسلوب المدرسي الذي تتبعه المؤسسة التربوية، وهو عادة ما يركز على الكتاب المقرر، بعد إقرار مفرداته، ثم طباعته. وبذلك، فان المعلومة الجديدة التي يراد توصيلها إلى الطلبة، يكون قد مضى عليها زمن، ربما طورت، او استعيض عنها بمعلومة أخرى، وذلك يعني: ان عالم المعلومات في حالة تكون وصيرورة على الدوام، ولما كان عالم المعلومات كذلك، فان الأمر يقتضي المواكبة المستمرة للمعارف والمعلومات من مصادر مختلفة.

• في كتابكم (المجتمع المنجز) طرحت وجهة نظر، تقول: ان المجتمعات البشرية كافة، بإمكانها ان تصبح منجزة، او أن تتوجه نحو الانجاز، هل نستطيع ان نحقق مقولة المجتمع المنجز في العراق؟ اذا كان الأمر ممكناً، فالسبيل إلى ذلك؟

بادئ ذي بدء، ان المجتمعات البشرية كافة، تستطيع ان تحقق مقولة المجتمع المنجز، ومنها المجتمع العراقي، والسبيل إلى ذلك، هو توفر مرتكزات الانجاز. وهنا نستعرض باختصار هذه المرتكزات.

إشباع الحاجات، وهي تنقسم إلى قسمين: الحاجات المتعلقة بالبقاء والحاجات المتعلقة بالثقافة السائدة.

معالجة المسألة الاجتماعية، وذلك بإتباع العدالة الاجتماعية.

معالجة المسألة الاقتصادية، وذلك بتوفير فرص العمل وإشباع حاجات الأفراد من السلع والخدمات بطريقة ميسورة، مع مراعاة التوزيع العادل للثروة.

معالجة المسألة السياسية؛ وذلك بإتاحة الفرصة للأفراد في المشاركة السياسية، مع الاقرار بالتعددية الحزبية، وحرية الرأي، وإشاعة ثقافة المواطنة بين عموم الأفراد، ووجود دستور ينظم العلاقات بين كل الأطراف داخل المجتمع.

معالجة المسألة التربوية، ونقصد بذلك، الكفاءة التي ينبغي ان تتمتع بها المؤسسة التربوية، ومن دون كفاءة هذه المؤسسة، يصعب على المجتمع ان يحقق مقولة المجتمع المنجز.

معالجة المسألة الثقافية؛ وذلك بتوفير خطاب ثقافي عبر قنوات الاتصال الجمعية، من شأنه ان يحدث تغييرا في آراء الأفراد واتجاهاتهم التي تنسجم مع مقولة المجتمع المنجز.

انتقاء القادة، وذلك بتحقيق مقولة (الرجل المناسب في المكان المناسب).

توطين التقانة، أي جلب التقانة من الخارج، والإسهام من ثم في تطويرها بما يتناسب مع مقتضيات المجتمع ومستوى تطوره.

• كتابكم الأخير (مرجعيات الجماعات) اثيرت حوله بعض الآراء النقدية، وكان السبب يعود إلى أنكم خرجتم فيه عن الطرح المألوف فيما يتعلق بالمرجعيات السائدة في المجتمع العراقي، قبل الحديث عن الأفكار الواردة في هذا الكتاب، نريد ان نعرف بالمقصود بالمرجعيات؟ وكيف تؤثر في سلوك الأفراد؟

تعرف المرجعيات، أنها الجماعات التي يأخذ منها الفرد معاييره، او تعرف أنها الجماعات التي يرجع إليها الفرد في تقويم سلوكه الاجتماعي، ويربط نفسه بها، او يأمل ان يرتبط بها نفسياً ويتأثر سلوكه بسلوك الآخرين فيها، أي أنه يتأثر بمعاييرها السائدة فيها، ويؤدي فيها احب الأدوار الاجتماعية إلى نفسه، وهي أكثر اشباعاً لحاجاته. ويشارك اعضاؤها الآخرون دوافعهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم ومثلهم ويتوحد بها وبعدها جماعته.

من ذلك نخلص إلى القول، ان المرجعيات عبارة عن جماعات بشرية يرتبط أفرادها بعلاقات تضامنية، تفضي إلى تحقيق أهداف مشتركة، تتمثل بالمحافظة على الكينونة الاجتماعية لهذه الجماعات، فضلا عن المحافظة على خصوصيتها الثقافية. وقد يتخذ الأفراد من هذه الجماعات مرجعاً يتم بموجبه تقويم سلوكهم الاجتماعي. وهذه الجماعات لها تأثير بالغ في تشكيل اتجاهاتهم وقيمهم ومعتقداتهم، طبقاً لتوجهاتها الحياتية والثقافية.

• كيف نحدد هذا المفهوم على مستوى المجتمع العراقي؟

فيما يتعلق بتحديد مفهوم المرجعيات في المجتمع العراقي، فإننا نستطيع ان نحددها على اساس، ان المجتمع العراقي، فإننا نستطيع ان نحددها على اساس، ان المجتمع العراقي، يشتمل على عدد من المرجعيات التي تشكلت عبر الزمن، وأنها مؤثرة في توجهات الأفراد، وهذه المرجعيات، تتباين تاثيراتها من جماعة إلى أخرى؟ وهذا التباين مرده، تفاعل عدد من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وحصيلة هذا التفاعل، ستفضي ولا ريب إلى ابراز المرجعيات الأكثر تأثيراً في توجهات الأفراد. ومن المرجعيات التي برزت بشكل فعال: المرجعية الدينية والمرجعية العشائرية والمرجعية الأثنية.

• تصنف المجتمعات البشرية إلى ثلاثة أنواع، تبعاً للاندماج الحادث فيها: المجتمع المتجانس والمجتمع الفسيفسائي والمجتمع المتعدد، والسؤال الذي نطرحه هنا: إلى أي نوع ينتمي المجتمع العراقي؟

ينتمي المجتمع العراقي إلى النوع الفسيفسائي، وما يثبت ذلك، ان الجماعات الأثنية التي يتألف منها، تشكل مجتمعات متمايزة. وعندما نقول أنها مجتمعات متمايزة، انما نعني بذلك، أنها تفتقر إلى الرابطة التي تجمعها مع الكشتالت، او المجموع العام، هي الرابطة الوطنية. فقد حلت محلها رابطة أخرى، ألا وهي: الرابطة الأثنية، التي أدت إلى تمركز الأفراد حول الجماعات التي ينتمون إليها، وافتقار المجتمع العراقي إلى الرابطة الوطنية، لم يكن وليد الاوضاع الراهنة، بل ان هذا الافتقار؛ يرجع في حقيقة الأمر إلى تراكم تاريخي لجملة من العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية، ذلك التراكم الذي افضى بطبيعة الحال، إلى تشكيل رابطة وطنية ضعيفة بين الجماعات الأثنية. وبذلك فان الجماعات الأثنية التي يتألف منها المجتمع العراقي، وتشكل مجتمعات متمايزة، تفتقر إلى الرابطة الوطنية،وان الرابطة التي تجمعها ضمن الرقعة الجغرافية العراقية، هي رابطة الأرض والعيش المشترك.

• لوحظ في المجتمع العراقي، ان أفراده يتمركزون حول المرجعيات الدينية والعشائرية والأثنية على وجه التحديد، والأسباب التي أدت إلى اشتداد هذا التمركز من وجهة نظركم؟

قبل الإجابة عن السؤال، لابد من الإشارة في هذا السياق، إلى ان التمركز حول مرجعيات الدين والشعيرة والجماعة الأثنية، لم يكن وليد الأوضاع التي نشأت بعد عام 2003، وانما كان التمركز حول هذه المرجعيات، يرجع إلى العهد الملكي، مروراً بالحقبة الجمهورية الأولى، وانتهاء بالحقبة البعثية. وان ثمة أسباباً جعلت الأفراد في المجتمع العراقي، يعبرون عن توجهاتهم الأثنية والدينية والعشائرية بعد عام 2003 من بينها:

1. ان الحقبة البعثية، عمدت بكل جهدها إلى إضعاف التمركز حول هذه المرجعيات، مما أدى إلى إحجام الأفراد عن الحديث عنها، ومن ثم تقليل التمركز حولها بصورة شكلية. بيد ان التمركز حول المرجعيات يأخذ شكلا مختلفاً، عندما يلتقي الأفراد من جماعة اثنية واحدة، وبذلك، فان الاكراه والقسر الذي استعملته السلطة البعثية، أفضى إلى تقليل مظاهر التمركز.

2. يصعب تقليل التمركز حول مرجعيات الدين والعشيرة والجماعة الأثنية؛ والسبب يعود إلى ان التمركز حول هذه المرجعيات، يكتسب بفعل التنشئة الاجتماعية وان ما يكتسب بفعل التنشئة يصعب تغييره، او تعديله.

3. ومن الأسباب التي تقلل التمركز حول المرجعيات التي اشرنا إليها، تلك الأسباب المتعلقة بالتركيب الثقافي، أي الأسباب التي لها صلة بكل جماعة اثنية، انطلاقاً من ان الثقافة هي اسلوب في الحياة، تنتظم حوله الكثير من شؤون المجتمع؛ ولان الثقافة اسلوب في الحياة، فهي تطبع سلوك الأفراد بما هو شائع فيها، وما نجده في سلوك أفرادها، انما يعكس التوجهات السائدة فيها، انطلاقاً من مقولة: ان الفرد نتاج ثقافته. والرأي الذي نريد ان نصل إليه، ان الثقافات السائدة في الجماعات الثنية العراقية، أخذت تشكل سلوك أفرادها بما ينسجم مع اساليب الحياة فيها، إلى جانب ذلك، ان طبيعة التركيب الثقافي للجماعات الأثنية، يعمد إلى تقوية التمركز، بدلا من اضعافه.

4. ان الجماعات المرجعية، أخذت تتبع طرقاً معينة من التدريب؛ بهدف الزام أفرادها بالتمسك بها، والمحافظة على ادائها؛ ان التمسك بهذه الطرق، سيفضي على ادائها؛ ذلك ان التمسك بهذه الطرق، سيفضي إلى المحافظة على الهوية الثقافية للجماعة، وفي الوقت نفسه، ان طرق التدريب هذه، ستزيد من توحد الأفراد مع جماعاتهم. وبالمحصلة النهائية، فان اتباع هذه الطرق والمحافظة على ادائها، تعد اسلوباً للمحافظة على كينونة الجماعة وخصوصيتها الثقافية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى زيادة التمركز، بدلاً من اضعافه.

• تشيع في المجتمع العراقي، ظاهرة شيطنة الآخر، مما يترتب على ذلك، طرده واستبعاده، ومن ثم تصفيته جسدياً، من وجهة نظركم، ما الأسباب التي ادت إلى تشكيل هذه الظاهرة؟

للاجابة عن هذا السؤال، نقول نعم، ان ابلسة الآخر، او شيطنته، ظاهرة تشيع في عموم المجتمع العراقي؛ والسبب الرئيس في شيوع هذه الظاهرة؛ يرجع إلى ان ثمة اتهامات متبادلة بين الجماعات الأثنية التي يتألف منها المجتمع العراقي، تدور حول التشكيك في مرجعية الاصول الأثنية. ويفهم منها، ان كل جماعة اثنية، تزعم ان اصولها الأثنية، ترجع إلى الحضارات العراقية الاولى، او ترجع إلى الجزيرة العربية. والحقيقة، التي لابد من ذكرها هنا، ان مرجعيات الحضارات العراقية الاولى والجزيرة العربية، تعد مرجعيات مقبولة في المجتمع العراقي، ولو بحثنا عن الأسباب التي تجعل هذه المرجعيات مقبولة، نجد ان الحضارات العراقية الاولى، وهي موضع فخر واعتزاز لبعض الجماعات الأثنية؟ بسبب ان اصولها الأثنية ترجع إليها، وان اقوامها ينحدرون منها، سكنت الارض العراقية منذ زمن بعيد، ولم يكونوا من الاقوام المهاجرة التي قدمت من دول الجوار، او من دول أخرى. كذلك الحال مع الجزيرة العربية، اذ تعد موضع فخر واعتزاز بعض الجماعات الأثنية؛ وذلك يرجع إلى ان الاقوام العربية، نشأت وترعرت في الجزيرة العربية، ثم هاجرت بعض الاقوام إلى مناطق أخرى، ومنها العراق. لذا، فان هذه الجماعات، تركز على ان اقوامها، تنحدر من الجزيرة العربية، وأنها عربية الاصول، قبل ان تكون عراقية. والمهم في الأمر، ان اشاعة الاتهامات المتبادلة بين الجماعات الأثنية، حول اصولها الأثنية، افضى إلى شيطنة الآخر الذي ينتمي إلى جماعات معينة، من جانب جماعات أخرى، وان هذه الشيطنة، ادت بالمحصلة النهائية إلى زيادة المسافة الاجتماعية الحادثة بين هذه الجماعات، مما أدى والحال هذه، إلى ان المجتمع اخذ يعاني من صعوبة الاندماج على اختلاف جماعاته الأثنية، وذلك يؤشر شيوع الشيطنة في المجتمع.

ترجمة الأعمال الكاملة للكاتب الغواتيمالي أوغيستو مونتيروسو إلى العربية

رائد القصة القصيرة جداً في أميركا اللاتينية

الطريق الثقافي - وكالات

يعدّ الكتاب واحداً من كلاسيكيات القصّة القصيرة الحديثة في القرن العشرين، بعد أن ضَمن لمؤلّفه مكانة مرموقة بين كبار كتّاب القصة في أمريكا اللاتينية، إلى جانب كلّ من خورخي بورخيس و خوليو كورتاثار وخوان رولفو، وجعل منه رائداً لما يعرف بالقصة المينيمالية أو القصيرة جدّا.

يؤكد مونتيروسو في كتابه سمة أساسيّة في عالمه القصصي ألا وهي المفارقة التهكمية التي ستميّز مجمل أعماله ومسيرته الأدبية اللاحقة، خيال جامح غذّته قراءات أدبية معمّقة وبالغة التنوع (من الأدب الإغريقي واللاتيني إلى كتّاب الحداثة الأثيرين لديه: جويس، بروست، كافكا وفوكنر، مروراً بأدب العصر الذهبيّ في اسبانيا)، بالإضافة إلى تجربة حياتية واسعة الغنى، ومزج ذكي ولامع بين الجدية العميقة والسخرية اللاذعة، ثمّ قدرة كبيرة على توظيف المحاكاة الساخرة لنصوص كلاسيكية ومرجعيات أدبية وأسطورية راسخة في سبيل نقد النزعة الأكاديمية والتعبيرات النمطية في الكتابة، إضافة إلى جرأة كبيرة في نقد الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ. وذلك كلّه عبر تقنيات سرديّة حداثيّة متنوعة تقوم على التناصّ والميتاسرد وعلى لغة رصينة محكمة تفيد من تقنيات الحذف والإيجاز.

المفارقة التهكمية تميز معظم اعماله ومسيرته الأدبية

وإذا كانت السخرية هي السّمة الأبرز في رصد مونتيروسو للعديد من مظاهر "الكوميديا البشرية" عبر قصصه، فإنّ هذه السخرية لا تحيل في أي حال من الأحول إلى موقف متعال لمثقّف ينظر من برجه العالي إلى ضعف أمثاله من البشر وعثراتهم و أخطائهم وحماقاتهم. فهو الذي انخرط سياسيّا وناضل ضد الديكتاتورية في بلاده، وعاش جلّ حياته ومات في منفاه المكسيكي، يؤكد في أكثر من موضع أنّ ما يكتبه ينبع أساساً من شعور عميق بالتعاطف مع البشر ومن الإشفاق عليهم غير مستثنٍ نفسَه، كما أن الكثير من نصوصه، خصوصاً تلك التي ينتمي أبطالها إلى عالم الكتابة والأدب، كقصّته "الأعمال الكاملة" التي يختم بها هذه المجموعة، تعبّر في حقيقتها عن هواجسه الشخصيّة ككاتب وعن شكوكه وتساؤلاته حول معنى الأدب ووظيفته وعلاقته بالحياة.

في سعيه للتجديد، رفض مونتيروسو المفهوم التقليديّ للقصة القصيرة الذي كان رائجاً بوصفها مادّة للاستهلاك السّريع تُقرأ ثم تُرمى، فعمل على كتابة قصة لا تستنفذ من قراءة واحدة، ولا ترتكز على النهاية المدهشة التي عدّها تقنية بالية؛ قصة حادّة مكثفة من أول سطر إلى آخر سَطر فيها حيث لا يهمّ النهاية ولا الحكاية نفسها بل الطريقة التي تروى بها. وحيث السرد تفكيك للتقليد الأدبي، وخلط للأجناس

يستعصي معه النصّ المفتوح الذي يجمع التأمل الفكري و الأسطورة والنكتة البلاغية وقصيدة النثر على أي محاولة للتصنيف.

وسيكون من السهل على قارئ "الأعمال الكاملة وقصص وأخرى" أن يعثر في بعض نصوص الكتاب على البذور الأولى لهذه النزعة التجريبية لدى مونتيروسو والتي جعلت منه واحداً من أبرز المجدّدين في الأدب المكتوب بالإسبانية.

يعد المؤلف أوغستو مونتيروسو 1921 ـ 2003، في نظر الكثير من أدباء أمريكا اللاتينية من أمثال غابرييل غارسيا ماركيز وماريو فارغاس يوسّا وإدواردو غاليانو، معلّماً ومجدّداً في أساليب السرد وتقنياته، كما حظيت كتاباته بنجاح نقديّ وجماهيري عالميّين. ومن أشهر أعماله قصّته "الديناصور" (إحدى قصص الكتاب) التي تعتبر أقصر قصّة في الأدب المكتوب بالإسبانية وقد عدّها الكاتب الإيطالي ايتالو كالفينو نموذجاً مثالياً في الإيجاز السردي. نفي إلى المكسيك بسبب معارضته الشديدة لحكم الديكتاتور أوبيكو في العام 1944. أقام في بوليفيا وتشيلي في الخمسينيات ثم عاد وأقام في المكسيك حتى وفاته. نال أرفع الجوائز الأدبية في بلده غواتيمالا (جائزة ميغيل انخل أستورياس عام 1997) وفي العالم الناطق بالإسبانية (جائزة أمير أستورياس للعام 2000 وجائزة خوان رولفو للعام 1998). من أعماله الأخرى: النعجة السوداء وحكايات أخرى 1969، الحركة الدائمة، 1972، الكلمة السحرية 1983.

"لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس" أمبرتو إيكو إلى العربية

الطريق الثقافي - وكالات

في هذا الكتاب، يؤرخ أمبرتو إيكو، للقائمة، أو لنقل للولع الغربي بها، آخذاً من كتالوج السفن في إلياذة هوميروس شارة البدء، ومعرجاً على الأدبيات القروسطيّة، لينتهي بالعصرين الحداثي وما بعده. وهو يمتحن في هذا الكتاب ظاهرة الجمع، وإنشاء القوائم، ووضع الموسوعات، والتصنيف، على امتداد العصور التي خلت، ذاهباً إلى أن هذا المنحى في مقاربة الأشياء عبر التاريخ الثقافي الغربي بمجمله، بل يمكن القول إن ثمّة عوداً أبدياً إلى ثيمة القائمة والهوس بها يسم ذلك التاريخ.

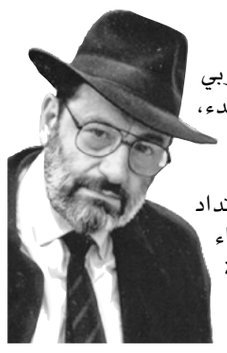

وهكذا يدخل إيكو في جهد تأريخي نقدي، راصداً الجهد الغربي في محاولته تدجين الكثرة وامتلاكها داخل قوائم من الأشياء، والأمكنة، والعجائب، والمجموعات، والكنوز. وهو جهد نقدي أساسا، لأن إيكو - كما ذكر - لم يقصد أن يدخل في رصد تاريخي لا حدود له ربما، لكنّه يعين أنواع القوائم، ثم يسوق، بما امتلكه من معرفة متبحرة، أمثلة كثيرة عليها، تتراوح بين البصري واللفظي. وتبلغ هذه الأمثلة حدا من الكثرة تستدعي في ذهن القارئ الشبكة العنكبوتية، التي يقول عنها إيكو إنها: تقدّم لنا كتالوجا من المعلومات، التي تجعلنا نشعر بالثراء والقدرة غير المحدودة. ويأخذ الكتاب، الذي جاء نتاج دعوة من متحف اللوفر، القارئ في رحلة متاهية ممتعة تعج باللوحات التصويرية من صور المعارك، والحدائق الغناء، والملائكة، والشياطين، والكنوز، والمجموعات الفنية، متناهيا في أحد جوانبها إلى صورة من معلبات كامبل؛ مأخوذة من متحف نيويورك للفن الحديث.

يتحدث إيكو عن السبب الذي دفعه إلى وضع هذا الكتاب فيقول: "حين دعتني إدارة اللوفر كي أنظّم، طوال شهر تشرين الثاني من العام 2009، سلسلة من المؤتمرات، والمعارض، وجلسات القراءة للجمهور، والحفلات الموسيقيّة، وعروض الأفلام، وغيرها من الفعاليات المشابهة، التي تختصّ بموضوع أختاره بنفسي، فإني لم أتردّد لحظة، وتقدمت من فوري بموضوع (القائمة)، فلو قُيّض لامرئ قراءة رواياتي، فإنه سيجدها تغصّ بالقوائم. وقد تمثلت أصول هذا الولع في مادتين درستهما شابّا، وهما: النصوص القروسطيّة وأعمال جيمس جويس.

وأمبيرتو إيكو، فيلسوف إيطالي، وناقد أدبي، وروائي، ومختص في مبحث القرون الوسطى، الذي استثمره في روايته ذائعة الصيت: "اسم الوردة".

درس إيكو الفلسفة في مدينة تورينو الإيطالية، وعمل في وسائل الإعلام، ودور النشر، قبل أن يصبح في العام 1971 أستاذاً جامعياً لعلم العلامات. وتوقف عن التدريس في العام 2007، بعد حصوله على أكثر من 30 دكتوراه فخرية.

وهو أحد أهم علماء العلامات البارزين في حاضر الثقافة العالمية. وكتب في غير موضوع، جائلاً بين الفلسفة والأدب والنقد الأدبي واللغويات والتاريخ. ومن كتبه: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، والعلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، والقارئ في الحكاية، وعن الجمال، وعن القبح، وبندول فوكو، وباوديلينو.

مترجم الكتاب ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مترجم أردني له العديد من المقالات والدراسات المترجمة في الصحف والمجلات العربيَّة، التي تعنى بالعلوم الإنسانيَّة، وقام بترجمة كتاب "التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط" لمؤلفه ديريك هوبود، وكتاب "الاستشراق في عصر التفكك الاستعماري" لمؤلفه علي بهداد، وكتاب "موجز تاريخ الجنون" لمؤلفه روي بورتر، وجميعها من منشورات "كلمة". كما ترجم بالاشتراك مع الدكتور أحمد خريس كتاب: "إدوارد سعيد وكتابة التاريخ" لمؤلفه شيلي واليا.

روائية جزائرية شابة تتفوق على أحلام مستغانمى وواسيني الأعرج

الطريق الثقافي - وكالات

تصدرت رواية "نادى الصنوبر" للكاتبة الجزائرية ربيعة جلطى قائمة أفضل عمل روائى صادر للعام 2012 فى الجزائر، وذلك وفق استفتاء جائزة الرواية العربية الذى يقام سنوياً هناك لاختيار أفضل عمل روائى. وفى الوقت الذى تصدرت فيه "نادى الصنوبر" المبيعات، جاءت رواية "أصابع لوليتا" لواسينى الأعرج، ورواية "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمى فى ذيل قائمة الترشيحات، مفسحة المجال لكتابات الشباب التى تصدرت واجهة الأدب الجزائرى، إذ حصد المركز الثانى أمين الزاوى عن روايته "لها سر النحلة"، يليه سمير قسيمى عن روايته "الحالم"، وتليه سارة النمس عن روايتها "الحى بنكهة الجزائر". كما تلاهما أعمال إبداعية شبابية أخرى منها "أسنان الأرض" لعلى قادر، و"لا يترك فى متناول الأطفال" لسفيان مختاش.

ميلاد أكبر دار نشر في العالم لمواجهة المنافسة في عصر الإنترنت

الطريق الثقافي - خاص

شكل اندماج داري النشر "راندوم هاوس" التابعة لمؤسسة بيرتلسمان، و"بنجوين" التابعة لمؤسسة بيرسون، ميلاد أكبر دار نشر في العالم. المجموعة الجديدة تسعى لتثبيت أقدامها في سوق النشر العالمية ومواجهة تحديات عصر النشر الالكتروني. وكانت مؤسستا بيرتلسمان الألمانية و بيرسون البريطانية، قد أعلنتا نهاية العام 2012 عن رغبتهما في دمج كل من "راندوم هاوس" و"بنجوين بوكس" في مجموعة واحدة جديدة تسمى "بينجوين راندوم هاوس"، الأمر الذي أحدث صدى كبيرا في سوق النشر العالمية، حيث ستسيطر المجموعة الجديدة، برأس مال قدره 2.5 مليار يورو، على جانب كبير من سوق الكتاب في العالم، وبالذات سوق النشر باللغتين الإنجليزية والألمانية، ودخل اتفاق الاندماج بداية تموز/ يوليو الماضي. وكانت هذه الصفقة قد خضعت، نظرا لضخامتها، لموافقة المفوضية الأوربية، واللجنة الخاصّة المعنية بحماية المنافسة ومكافحة الاحتكار في الاتحاد الأوروبي، التي اشارت إلى أن الكيان الجديد لن يمثل تهديدا للمنافسة القوية في سوق النشر. كما حظيت الصفقة بموافقة وزارة العدل الأمريكية إلى جانب موافقة السلطات الأسترالية والنيوزيلندية. وذكرت المفوضية الأوربية حينها أن الكيان الجديد "بنجوين راندوم هاوس" سيكون واحدا من عدة شركات تعمل في سوق النشر باللغة الإنجليزية إلى جانب بيع هذه الكتب في السوق الأوروبية. وفي حقيقة الأمر فإن كلا الدارين الألمانية والبريطانية كانتا متواجدتين بشكل قوي في السوق العالمية، لاسيما في بريطانيا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا و ونيوزيلندا.

بينما كانت بنجوين متواجدة بشكل كبير في السوق الهندية والصينية، وتحتل راندوم هاوس المركز الثالث في السوق اللاتينية. إضافة إلى ذلك فإن كلا المؤسستين لهما تقاليد عريقة، إذ يعود تاريخ بنجوين إلى فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فيما يصل عمر راندوم هاوس إلى 178 عام. ليس هذا فحسب، بل وتحظى كلا الدارين بأهمية وشهرة عالمية كبيرة، بعد أن نشرتا الكثير من الأعمال الخاصة بالحائزين على جائزة نوبل. وحسب ماركوس دوهلا، آخر رئيس لراندوم هاوس، فإنه من أهداف دمج المؤسستين إعادة تسليط الضوء على الكتاب في وقت تتراجع فيه أعداد دور نشر الكتب أو تعلن إفلاسها، وسط منافسة شرسة من سوق النشر الإلكتروني، لاسيما شركة أمازون التي سيطرت في السنوات الأخيرة على سوق الكتاب الإلكتروني.

إصدارات جديدة..

"ثلاثية الأرواح الضائعة" للكاتب حسين سرمك حسن

عن دار ضفاف في دمشق، صدر للناقد الدكتور حسين سرمك حسن كتاب جديد عنوانه "ثلاثية الأرواح الضائعة" عن "ثلاثية شيكاغو" للروائي "محمود سعيد". ضم ثلاث دراسات مستفيضة عن أجزاء ثلاثية شيكاغو الثلاثة: حافة التيه، إسدورا، وزيطة وسعدان. وقد خصص الناقد سرمك مقدمة كتابه للإجابة عن تساؤلين سيثوران حتما في ذهن القارىء هما: لماذا محمود سعيد؟ ولماذا "ثلاثية شيكاغو"

"الشعرية العربية باللغة الكردية" للشاعر السوري أدونيس

عن دار الترجمة في وزارة الثقافة والشباب في اقليم كردستان العراق صدر كتاب "الشعرية العربية باللغة الكردية" في 218 صفحة من الحجم المتوسط. وهو عبارة عن دراسة أدبية نقدية كانت في الأصل محاضرات جامعية ألقيت في الكوليج دو فرانس بباريس في أيار من العام 1984. وصدرت هذه المحاضرات باللغة الفرنسية في العام 1985 عن دار سندباد في باريس. وقدم لها أستاذ كرسي الشعر في الكوليج دوفرانس الشاعر الفرنسي إيف بونفوا.

يقول الكاتب والناقد د.جميل حمداوي عن هذا الكتاب الأدبي والنقدي، بأن أدونيس يتبنى في هذا الكتاب منهجية الشعرية المنفتحة التي تستهدف الكشف عن المكونات البنيوية للشعرية العربية القديمة والحديثة من خلال منظور شعري تاريخي يتداخل مع منهجيات أخرى اجتماعية ونفسية وبنيوية وتفكيكية ونقدية للموروث الشعري العربي الشفوي والكتابي.

"الخطاب الاشتباهي في التراث اللساني العربي" للبشير التهالي

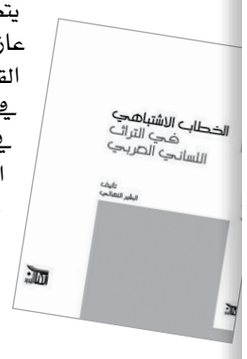

صدر عن جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب كتاب جديد بعنوان "الخطاب الاشتباهي في التراث اللساني العربي" للكاتب والباحث المغربي البشير التهالي، وهو كتاب "يتصيد لمسألة دلالية ما زال الكلأ فيها عازباً؛ لم تَطَأْهُ هِمَمُ الباحثين على وجه القصر والتخصيص؛ هي ظاهرة الاشتباه في الخطاب. حاول تأصيل قوانينها الكلية في مجالات التفكير اللساني العربي، التي احتبس منها على ثلاث دوائر: المنطق، وعلم الأصول، وعلم اللغة والبلاغة، انتظمت في الكتاب على نحو انتقالي من المجرد إلى المحدد؛ فالمنطق عُلقة باللغة عامة، وللأصول تعلّق باللغة في محيطها الشرعي، وللبلاغة صلة باللغة في تحققاتها الجمالية؛ كما أنها انتظمت فيه على نحو تكاملي تتبادل به الأدوار، ويستمد بعضها من بعض؛ بباعث من الصورة الأصلية للنظرية المعرفية العربية الإسلامية الحاملة لسمات التداخل، فلا يستقيم تفكيكها تحكماً واعتسافاً.

زاوية الكتاب الإلكتروني e.book

كتب إلكترونية مجانية سيتيحها «الطريق الثقافي» للقراء

تخصص صفحة كتب ابتداءً من هذا العدد زاوية للكتاب الإلكتروني، على أمل توسيعها في المستقبل القريب، للمساهمة في نشر الثقافة الإلكترونية وتوفير الكتب المجانية للقراء، وآلية الاستفادة القصوى من هذه الامكانيات التقنية. ومن الكتب المتاحة حالياً:

رواية **حين تترنح ذاكرة أمي** وهي من جديد الطاهر بن جلون وحظيت بقراءة واسعة وحضوراً في معارض الكتب الدولية، ناهيك عن ترجمتها إلى العديد من اللغات.

رواية **تحت سماء كوبنهاغن** للكاتبة العراقية الشابّة حوراء النداوي، وهي من الروايات العربية التي ظهرت على لائحة جائزة البوكر العربية القصيرة ونالت اهتماما ملحوظا.

كتاب **الخبز الحافي** لمحمد شكري، لمن فاتته قراءة مذكرات هذا الكاتب المثير للجدل بنسخته المطبوعة تتوفر النسخة الإلكترونية بجودة عالية.

على من يرغب بتحميل هذه الكتب زيارة صفحتنا على الفيسبووك www.facebook.com/altareek.althakafi أو طلبها عن طريق البريد الإلكتروني

إصدارات أدبية بصرية جديدة وحفل توقيع

أقام إتحاد الأدباء والكتاب في البصرة حفل توقيع خمسة إصدارات أدبية لشعراء وقاصين من البصرة وهي المجموعة القصصية (أحفاد العروس) للقاص كريم عباس زامل و(بيت العصافير) لربيع عودة و(الغريق) لجابر خليفة بالاضافة الى مجموعة شعرية بعنوان (ايقاظ البذور) للشاعر فوزي السعد وكتاب مقالات بعنوان (بهارات) للشاعر كاظم الحجاج. وقال الناقد البصري محمد الاسدي، ان حفل توقيع خمسة كتب ادبية في محافظة البصرة يعكس حجم المشهد الثقافي الذي وصفة بالحي في المحافظة على الرغم من قلة الامكانيات والدعم المقدم من إدارة المحافظة.

الطريق الثقافي

No. 74

مدير التحرير
محمد حيّاوي
m.shather@gmail.com

التحرير
ناصر قوطي
سعدون هليّل
التدقيق اللغوي
حسن القاضي

التصميم Sillat Media • للاتصال بهيأة التحرير althakafya@iraqicp.com

لمتابعتنا على الفيسبووك
www.facebook.com/altareek.althakafi

www.iraqicp.com

24 آب/ أغسطس 2013 August 24

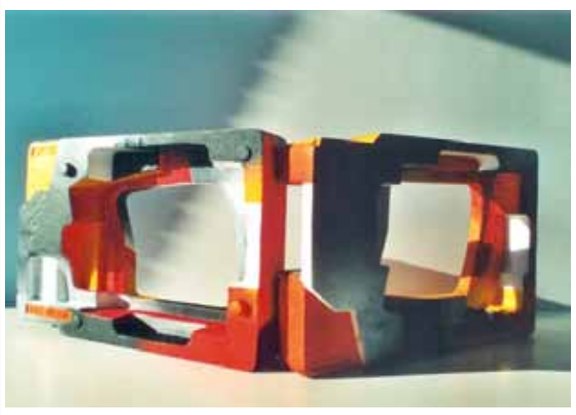

إضاءة

كيف تدار الثقافة في أوروبا؟

تتكون الحكومة الهولندية من 11 وزيراً ووزيرين من دون حقائب وزارية، الأول للشؤون الخارجية والتعاون الدولي والثاني للإسكان والعدالة الإجتماعية، ولا توجد وزارة للثقافة على نحو خاص، إنما تشرف وزارة أسمها "وزارة التربية والتعليم والثقافة والعلوم" على إدارة الثقافة بشكل أو بأخر، إذ تنحصر مهمتها بأنشاء صناديق دعم الأنشطة الثقافية التي تمول بعض المشاريع الثقافية على أساس طلبات المنح، وتدير هذه الصناديق هيئات مستقلة تضع لها سياسات مناسبة بعيداً عن تأثيرات الحكومة وتوجهاتها.

ويوجد في هولندا ستة صناديق رئيسة لدعم الثقافة تمول سنوياً من الميزانية الوطنية بشكل مباشر، هذه الصناديق هي: صندوق دعم الفنون (61 مليون يورو) ويدعم مؤسسات الفنون والفنانين في مجالات الرقص والمسرح والموسيقى والأستعراض، صندوق دعم الفيلم الهولندي (35 مليون يورو) ويدعم مشاريع الأفلام والمهرجانات السينمائية والتطوير والتدريب على صعيد التقنيات السينمائية الجديدة، مؤسسة موندريان للفنون التشكيلية (18 مليون دولار يورو) وتدعم مشاريع التراث الثقافي والمتاحف ومعارض الفنانين التشكيليين والمحفوظات والمكتبات، صندوق دعم الثقافة (18 مليون يورو) ويدعم المبادرات المبتكرة في مجال ثقافة الهواة والثقافة الشعبية، المؤسسة الهولندية للآداب (10 مليون يورو) ويدعم مشاريع الكتّاب والمترجمين والناشرين، صندوق تحفيز الصناعات الإبداعية (2 مليون يورو) ويدعم المشاريع الثقافية في مجال الهندسة المعمارية والتصميم والثقافة الإلكترونية والألعاب والفيديو. وتستلم هذه الصناديق هبات ومنح أخرى كثيرة من الشركات الكبرى وكبار المانحين، وهناك بالإضافة إلى ذلك عشرات صناديق الدعم الصغيرة التي تمولها شخصيات عامّة أو عائلات ثرية ومنظمات أوروبية وجهات داعمة أخرى.

ويبلغ الإنفاق السنوي العام على الثقافة في هولندا حوالي 900 مليون يورو، أي ما يعادل 0.8% من الموازنة العامّة للدولة و0.4% من الإنفاق العام.

أما في ألمانيا فتتكون الحكومة من 15 وزير و3 وزراء مفوضين، منهم وزير مفوض لشؤون الثقافة، يعمل معه 210 موظفاً فقط، ويتلخص دور الحكومة ثقافيا بتمويل مؤسسة «دويتش فيليه» التي تعد الذراع الثقافية للدولة، وطريقة عملها تشبه إلى حد كبير طريقة عمل صناديق الدعم في هولندا. وتبلغ ميزانية الدولة الألمانية للثقافة حوالي 1.2 مليار يورو، تذهب 200 مليون منها إلى مؤسسة التراث الثقافى، و100 مليون لحماية الآثار التاريخية، ويرافق تخصيص ميزانية الوزارة تحديد أوجه إنفاقها، وتعد موافقة البرلمان واجبة فى اعتماد طرق هذا الإنفاق، ويحظى البرلمان بقوة محاسبة الوزير المفوض فى جميع قراراته، وتقديم ما يفيد بسلامة الإنفاق.

أما في فرنسا فيتلخص دور وزير الثقافة والاتصالات الفرنسية برعاية المتاحف والآثار وحماية الفنون والآداب والأرشيف الوطنى والمراكز الثقافية، والحفاظ على الهوية الفرنسية.

الوزارة الفرنسية الحديثة صاغها الرئيس الفرنسي الأسبق «شارل ديجول» في العام 1959، وأول وزير للثقافة وقتها كان الأديب «أندريه مارلو»، الذى طبق ما جاء فى الدستور الفرنسى «حق الجميع فى الثقافة» فأسس المراكز الثقافية فى جميع أنحاء فرنسا، ودعم الفنون بكل أنواعها. وفى عهد الرئيس «فرانسوا ميتران» تولى وزارة الثقافة «جاك لانج» الاشتراكى اليساري والسياسى والقانونى المعروف الذي رفع شعار «الثقافة والاقتصاد معركة واحدة»، وقام بتفعيل رعاية الحكومة للفنون وطبق ديمقراطية الثقافة عمليا، ونفّذ برنامجا معماريا ضخما لتجديد المكتبة الوطنية، ومتحف اللوفر، ومعهد العالم العربى، وغيرها من معالم الثقافة فى فرنسا.

وتبلغ نسبة ميزانية وزارة الثقافة الفرنسية 0.9% من ميزانية الدولة، وبنود إنفاقها واضحة، وتحتاج موافقة البرلمان، وأى إهدار فيها يقابله حساب برلمانى عسير.

محمد حيّاوي

المعرض التشكيلي

الفنان زياد حيدر
حساسية اللون

علي شايع

في العام 2006 رحل الفنان التشكيلي زياد حيدر، عن 51 سنة، إثر نوبة قلبية داهمته في مرسمه الشخصي كان الفنان يحمل هماً عراقياً خاصاً جداً، فهو ضحية من ضحايا النظام الديكتاتوري، وأضاع ما يقارب الخمس سنوات من حياته، في معتقل (أبو غريب) بعد أن حكم عليه بالسجن عشر سنوات بسبب مواقفه الجريئة، وشجاعته في الوقوف بوجه الظلم والاستبداد، وكان واثقاً من وقوعه في شراك المعتقل، حيث لا نجاة لمشاكس ثوري.

بقي يحمل تلك الروح ويستحضرها بصور أخرى بعد خروجه من الوطن، في صورة إبداع نال إعجاب من تابعوا منجزه، مغترباً من بداية التسعينيات. عن تلك الفترة كان الفنان يتحدث بحميمية ذكريات عاشها في الأردن وسوريا، وحملت آلام الغربة الأولى. بصفاء ثابت للفكرة وحساسية لونية عالية، كان الراحل زياد حيدر ينجز أعماله لما يزيد عن ثلاثين سنة من عمر تجربته الفنية الزاخرة، وبطواعية هائلة للون، وإمكانيات فنية متميزة، يشهد له بها كل من اطلع على أعماله، مجتازاً حدود ما يرسمه إلى مدرك ذاتي كبير في تجربة يفتح مساحتها مع الرائي، مستشرفا القيمة العظمى للفن كأعلى قيمة يعيش تجريدها، و بخصوصية فريدة، وتجربة حياتية خاصة بنصيب معاناتها الوافر.

كان الراحل الأكثر مواظبة على مشروعه الفني، مُشتركاً بمعارض عدة في هولندا كامتداد لتواصله الفني منذ عقدي السبعينيات والثمانينيات، حيث عرض أعماله ضمن معارض الفن العراقي المعاصر ومعارض جمعية الفنانين التشكيليين، ومعرض الكرافيك العراقي المعاصر، ومهرجانات الواسطي. وعرضت نتاجاته ضمن معارض الفن العراقي في العاصمة اليابانية طوكيو وقبرص وعمان. كما عرضت أعماله في بولندا، وسويسرا، وبلجيكا، وامريكا، وفنلندا وألمانيا ومتحف مدينة ماجدانيك البولندية الذي يضم في مجموعته الدائمة إحدى لوحاته. مشاركاً في معارض طرح عبر منتجه فيها رؤية فنية كان يجسدها بأعمال تناصر الإنسان وتنتصر له، عبر مشوار فني أكاديمي بعد أن أنهى دراسته بأكاديمية الفنون الجميلة عام 1976، محققاً نجاحاته المشهودة، حتى وهو يعمل مصمماً في دار الأزياء العراقية. كان الفنان حريصاً على استثمار مساحة الحرية الهائلة في هولندا من أجل وضعها في سياق تجربة خاصة لإنسان متطلع، يردّد كثيراً عن تثمّنه لحجم الاحتفاء الهولندي العام بالحضارات الأخرى، سعياً منهم لخلق حوار وتواصل فني، إضافة إلى موضوع الاحتفاء بتجربته كفنان، لا لأنه قادم من بلد عريق الفن والحضارات فحسب، بل لأن الفن في هولندا له مكانته الخاصة بين النتاجات الإنسانية السامية، وباعتباره من ثروات الشعوب، ومحطّ فخر للمختص والمتابع العادي. أتيح للفنان زياد حيدر أن يعايش تجارب الفنانين الهولنديين وأن يشترك في معرض مع فنان هولندي عاش تجربة شبيهة بتجربته؛ فالفنان فان دايك van dijk عاصر الحرب العالمية الثانية وعانى تجربة المعتقل أيضاً، لذلك حظيت تجربة المعرض المشترك – التي اتخذت من موضوع الحرب ثيمة أساس– اهتماماً فنياً واسعاً في الأوساط الثقافية المتابعة. يستذكر أصدقاء الفنان الراحل زياد حيدر الكثير من أحلامه، وهو يعلنها للحاضرين، رغم ما بقي للتداول في قوله واعترافه إن هولندا ستكون محطته الأخيرة، كيقين مبكّر بالرحيل، لكنه كان يكرّر أمنية خاصة، عن تأسيس وفتح مدرسة خاصة بموهوبي الرسم في مدينة بغداد التي يهيم بها عشقاً، و كم كان أسفه شاقاً وهو يحصي المواهب المضاعة في زحمة حياتنا العراقية. الفنان المولود في مدينة العمارة الجنوبية يستذكر تلك الحاضرة الفنية المعطاءة أيضاً، وهو يعيد حكايات مبدعين تفرقت بهم الأقدار، وضاعوا تحت أنجم الترحال والمصائر؛ فمنهم من قضى في الحرب، وآخرون سبتهم آلة الطغيان وغيبتهم في سجونها المظلمة.. كل هؤلاء يحصي فيهم المواهب المهدرة والضائعة، حالماً بوطن حرّ يعيد للفن مجدّه الإنساني، ويحتضن مواهب المبدعين ويقدّم لهم الدعم بأقصى ما تكون الإمكانيات، فالفن مثلما كان يردّد زياد "هو الوجه الأجمل لحياتنا المليئة بالخراب".. وطن يعود له محملاً بالأحلام التي ستّسعد من يأمل بإمكانياته إسعادهم، مستبشراً بمنجز التغيير الكبير والأمل الديموقراطي المرتجى. حلم آخر كان الفنان زياد حيدر ينشغل به لسنتين عاشهما قبل رحيله، وهو ينجز تصميماً للعلم العراقي، في رغبة للمشاركة بمسابقة فنية كانت وزارة الثقافة تعدّ لها في تلك الأيام. أصدقاء الراحل وكلّ من عاصر حلمه يستذكرون لوعته وهو يتابع ما أرسله إلى الوزارة، ليبقى في أرشيفها حلماً مؤجلاً، ليته يكون أيضاً ضمن ما يوثّق ويسجّل له، ويعرّض بعد تسجيله رسمياً باسم الفنان، بدلاً من ضياعه. إذ يكفي ما ضاع للفنان من جهد وسنوات ختمت بضياع عمر كان في أوج عطائه وإبداعه في المُغترب.

زياد حيدر ـ سيرة ذاتية

- مواليد مدينة العمارة ـ العراق في العام 1954
- تخرج من أكاديمية الفنون – جامعة بغداد في العام 1976
- عرضت أعماله في كل من بغداد، عمان، قبرص، كان سورمير فرنسا، طوكيو ، سويسرا، أمريكا، بولندا، بلجيكا، السويد وهولنده.

المعارض:

1974 ضد التمييز العنصري – المتحف الوطني للفن الحديث بغداد
1976 المعرض السنوي – جمعية الفنانين التشكيليين – بغداد
1982 الكرافيك العراقي – الرواق – بغداد
1984 مهرجان الواسطي – التحف الوطني للفن الحديث – بغداد
1985 مهرجان – كان سورمير – فرنسا
1986 مهرجان الواسطي – المتحف الوطني للفن الحديث – بغداد
1986 الفن للأنسانية – المعرض العالمي – مركز الفنون – بغداد
1990 الفن العراقي المعاصر – قبرص
1991 الفن العراقي المعاصر – عمان
1992 الفن العراقي المعاصر – طوكيو
1994 المركز الثقافي الأيطالي – عمان
1994 كالري الفينيق – عمان
1996 المركز الثقافي الروسي – دمشق
1997 كالري – كنستنتروم – هنكلو – هولنده
1998 منظمة – يومان الأوربية – تركو – فنلنده
1999 المهرجان العالمي للفن التشكيلي – موسكرون – بلجيكا
2000 منظمة يومان الأوربية – تركو ـ فنلنده
2001 متحف مدينة – ماجدانيك ـ بولنده
2002 فنانون عراقيون في هولنده – لاهاي ـ هولنده
2002 بورصة الفن الهولندية – آهوي هال ـ روتردام – هولنده
2003 كالري – ثري هاوس – أمستردام
2004 كالري – كاده كونست – أمستردام

الجوائز:

1975 الجائزة الأولى لأفضل ملصق لمهرجان الشبيبة العالمي / برلين
1980 الجائزة الثانية لأفضل ملصق عن جمعية التشكيليين العراقيين
1984 الجائزة الثالثة – مهرجان الواسطي الرابع – المتحف الوطني للفن الحديث – بغداد
1986 الجائزة التقديرية – مهرجان الواسطي الخامس ـ بغداد

لا تزال تلهم الفنانين والأطباء

رسومات دافنشي التشريحية في معرض

الطريق الثقافي ـ خاص

ماتزال أعمال ليناورد دافنشي في التشريح تلهم الكثير من فناني التطبيقات ثلاثية الأبعاد 3D المفصلة للجسم البشري. الأمر الذي يثير التساؤلات بشأن مدى تقدم دافنشي على عصره.

ويعتقد نقّاد الفنون المعاصرين أن الجواب يكمن في رسوماته التشريحية المثيرة التي أبتدعها في عصر لم تكن وسائل الإيضاح والتشريحات الطبية معروفة كما هو الحال في عصرنا الحديث.

وعلى الرغم من مرور خمسة قرون من التقدم التكنولوجي، فأن هذه الأعمال الفنية الرائعة، التي تعد علامة مضيئة من علامات عصر النهضة، لا تزال تمارس تأثيرها على فناني التوضيحات الطبية حتى يومنا هذا. وتحظى دراسات دافنشي في جسم الإنسان، المعروضة حالياً في معرض "ميكانيكا مان" ضمن فعاليات مهرجان ادنبره الدولي للفنون، باهتمام واسع وتثير دهشة الزوار. ويقول بيتر ابراهامز، أستاذ التشريح السريري في كلية طب وارويك، "أن هذه الأعمال لم تفقد قيمتها الفنية والعملية مع مرور الوقت، ولم يضف المعاصرون إليها سوى القليل، وماتزال رسمة العمود الفقري التي وضعها دافنشي، أفضل من أي وقت مضى، وتضاهي الرسومات المعاصرة إن لم تفوقها". وتعاون ابراهامز، الذي يستخدم رسومات دافنشي التوضيحية في تدريسه الطب منذ أكثر من 40 عام، مع مجموعة رويال للتصميم والطباعة لإنتاج وسائل الإيضاح ثلاثية الأبعاد باستلهام من تلك الرسومات، سيما تخطيطات نظام القلب والأوعية الدموية والأجهزة التناسلية لدى المرأة وغيرها من التخطيطات.

وترك دافنشي تخطيطاته غي ر المنشورة لدى مساعده فرانشيسكو ميلزي الذي أحتفظ بها حتى وفاته، قبل أن يشتريها المجمع الملكي الأنجليزي للعلوم في القرن السابع عشر في عهد الملك تشارلز الثاني.